

فواتح الدارة

المقدمة

وما أخذت نفسي أشد نحو طبع افتتاحيات الدارة المجلة، فلم يكن ذلك في حسابي، غير أن بعض الصحاب شجعني على جمعها وطبعها، فإذا أنا أقول هي في المجلة لحساب المجلة عنوانا لما هي فيه.. لما هي به، ولكن جمعها وطبعها إلحاح الذات (الأنا) فإذا هي أكون فيها وبها وهي لي، ليس من التواضع أن أنكر الذاتية، وليس من التكبر أن أتضح بها، فالذاتية - ولو كانت عن مركب النقص، ولو وصلت إلى مركب الكمال - فيها شيء من الكبرياء، كبرياء الفعل الذي يثبت وجودك، لا كبرياء الغلو على الناس أو التعالي عليهم.

وهي الآن بين يدي القراء.. بين من يحترمها يرحمني، وبين راجمها يترجم نفسه عليّ، وما الكاتب إلاّ بين هذين، ولست أعذر، فلم يكن جمعها يحتاج إلى اعتذار.

محمد حسين زيدان

بسم الله الرحمن الرحيم

استشراف

مولاي صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز.

ملك المملكة العربية السعودية «أيده الله وحفظه»

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

فلنعم الوفاء وفاؤك لدينك الإسلام، وأمتك ووطنك، ولقد تجلّى هذا الوفاء في احترامك وتمجيدك لتاريخ والدك البطل العظيم المجمع المرحوم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن.

أبوك تاريخ لا سيرة.. تاريخ لأمة العرب كلها، وتاريخ كان وما زال ناشراً وصوّناً للعقيدة المسلمة الصحيحة، عقيدة السلف لا مذهب فلان أو فلان، جعل لها القاعدة الرصينة والدعامة المتينة شعبك في الكيان الكبير، نجدا وحجازاً وتهائم، تاريخ كلما وضع الله البركة في عمر السنين وكلما اتضح بالمعرفة الصادقة والعون الوفير عرف كل الناس من المسلمين الذين ذاقوا نعمة الأمن لا يردّهم سلب ونهب وخوف في طريق الحج، كما عرف العربي قيمة هذا البطل وما صنع له من حرز حريز وسند مكين أبرزته أنت أيما إبراز.

كما عرف إنسان هذا العالم ما كان يجهل ليعمل بالمعرفة للصداقة .
صداقة السلام والسلامة . عرف الجميع قيمة من جمع ومن وحد ومن توحد
فكون دولة كريمة على نفسها مكرمة في دنيا الإنسان . فلا تبخل بالتكريم
على من صلح أمره من إخوانها ، ولا ترضى عن الفاسدين والمفسدين
لعقيدتهم وقوميتهم ومصيرهم حتى وفاها الله بالعمل الدائب منك والصبر
والوفاء الوقور في سيرتك وحتى أفاء الله الخير الوفير تعمّر به الحياة ليعمر
به وجدان الأحياء .

فإذا أنت ترفع راية العزة للكيان الكبير «المملكة العربية السعودية» كما
هو حقه تاريخاً وتراثاً وميراثاً وماضياً ولا بد بحتم الأصالة أن يمتد له
مستقبل . وإذا أنت تصنع النصر مبشراً به صنعت النصر لأهلك على
أعدائك .

فهذه المسيرة لك ومن أجل هذا التاريخ لأبيك رحمه الله مكنت لدارة
الملك عبد العزيز أن تصدر لها مجلة ما أسعدها أن يتوج أول عدد منها
بكلمة منك عن والدك العظيم لا أحدد لها كيفاً ولا أحرز لها كمّاً ، فالأمر
منك لك بك ، وهب الله لك طول العمر حرزاً حريزاً لأمتك المسلمة
وقومك العرب .

حفظ الله الملك وأيده بنصره . .

عهد ووفاء

وظهرت المجلة «الدارة» ترسل إلى جلالة الشهيد المرحوم الملك فيصل بن عبد العزيز قبل وفاته بساعتين وقبل كل أحد. فلم تحظ بنظرة منه إليها - مع أنه مؤسسها الحفيل بأن تكون على محجة بيضاء تنير الطريق لجمع التراث وشرح التاريخ وجلاء الوثائق جلاءً وشرحا لا يسجل إلا الصواب من عطاء الوثائق ومن كنوز الدفائن، ومن مبادئ الدعوة السلفية.. دعا إليها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.. ودعمت نشرها - فوجدت الناس في هذه الجزيرة في ظلال التوحيد - السيوف بيد الأئمة والملوك من الأسرة السعودية.

لا نبالي أن نضع الوثيقة سجلت فيها المذمة والأكذوبة والخرافة لندحضها بالوثيقة الصادقة والمصدقة.. فقد أشرقت علينا بعزمة عزائم الرجال من أبناء الجامعات لا يبخلون على البحث بجهد ويتطلعون إلى المستقبل على بصيرة، ولا تبخل الدولة عليهم بعون وإعزاز وتقدير ذلك نهج الشهيد.. أقام للعلم مناراً في الجامعات ونوراً في المساجد ورغب إليها أن تقيم برهان التاريخ تزيج الظلام.. مسجلة رهان المؤرخين الذين زحزحوا عن الصدق بإغراء الجزاء على الكذب.

من هنا لا تعلن المجلة الأسف على فوات النظرة إليها.. ما دامت

تسير على نهجه، وإنما هي تعلن عزمها على أن تسير طبق ما عرفت من توجيهاته ورغباته وأمنيته.. توجيهات هي الانتصار على المهاترة بالصمت الوقور والعمل الصادق.. وهي أعني الرغبات تطلب إلينا أن نرتفع نحن أبناء هذا الشعب ليكون ثمرة ترفعنا عن الثنايا عملاً لرفعة شأن الدولة والشعب، وأمنيات هي أن نكون دوماً حماة الدين.. هذا الإسلام، صوانين لهذا التراب والأعراق والأمجاد.

أسأل الله أن يتغمد الشهيد برحمته وأن يمنحنا توفيقه لנסير على النهج فنرد مناهل الصواب.

وإن واجب الوفاء ليدعونا لأن يصدر العدد بعد هذا سجلاً تذكاريّاً خاصاً بما نشر يوماً نحصل عليه ونقوم بإعداده من أبحاث ودراسات عن الشهيد طيب الله ثراه.

مبادئ السعودية في وثيقة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله.

أما بعد.. فلا أجد ما هو أحسن لافتتاحية العدد الثاني من مجلة دار الملك عبد العزيز - رحمه الله - من هذه الوثيقة التي توضح مبادئ السعودية بأسلوب بسيط وعميق، لأن المنبع والمأخذ هو القرآن والسنة.. عماد العقيدة السلفية.. فالسعودية سلطاناً وإماماً وأشياخاً أئمة دعوة.. قد ساروا على نهج قويم من هذه العقيدة السلفية في صداقة منها وصدق في اعتناقها وتنفيذها.

والله ولي التوفيق..

- نص الوثيقة :

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعود إلى جناب الأشراف حسين بن ناصر وحسن دهب وحمة ومحمد بن حسن وحسين وأحمد ومقبل بن محمد وصالح بن عبد الله أحمد معوض وأحمد علي بن شما وصالح حسين مسلي، سلمهم الله من الآفات واستعملهم بالباقيات الصالحات.

وبعد.. (ألفي) علينا مقبل بن عبد الله، وأشرف على ما نحن عليه وما

ندعو إليه وما نأمر وما ننهي عنه، ويصف لكم من الرأس أكثر من القرتاس إن شاء الله.

ونخبركم أننا متبعون لا «مبتدعون» نعبد الله وحده لا شريك له، ونتبع رسول الله ﷺ فيما يأمر به وينهى عنه، ونقيم الفرائض ونجبر من تحت يدنا على العمل بها وننهي عن الشرك بالله وننهي عن البدع والمحرمات ونقيم الحدود ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ونأمر بالعدل والوفاء بالعهود والمكايل والموازين وبر الوالدين وصلة الأرحام.

هذا صفة ما نحن عليه وما ندعو الناس إليه، فمن أجاب وعمل بما ذكرناه فهو أخونا المسلم حرام الدم والمال، ومن أبى قاتلناه حتى يدين بما ذكرناه.

وأنتم أخص الناس باتباع محمد ﷺ، والحق عليكم أكبر منه على غيركم، والإسلام هو عزكم وشرفكم، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (الزخرف: ٤٤).

فالمأمول فيكم القيام بالدعوة إلى الله، لأن الدعوة سبيل من اتبعه ﷺ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣).

ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الداعين إليه المجاهدين في سبيله لتكون كلمته العليا ودينه الظاهر، وصلى الله على نبينا محمد وصحبه وسلم.

الفصل في مجالسه

الشهيد الملك فيصل كان من السهل أن تستوعب الكثير عنه - تكتب وتكتب فلا يكاد ينضب معينك، وكان من الصعب أن تبرز ما استوعبت لأنه لا يريد الكلمة تقال عنه - لأنه العزوف عن ترديد الثناء، ولكنني اقتحمت هذه الصعوبة فيما كتبت في حياته، وحجتي في ذلك أنه البطل يستأهل شعبه أن يكون على وعي يعرف به قيمة البطولة والعظمة فيه.

فالبطولة يسرت له ولشعبه ولأمته ولكيانه الكبير.. أن يعظم في السنة الدنيا وأن يثق الشعب بالقيادة الحكيمة وأن تأمن الأمة.. تجده نصيراً لها لا يضمن عليها بجاه أو مال، وأن يصان كيانه الكبير بالموقف الثابت والإعداد والاستعداد، يصون أمته، ويحفظ أمانته.. حتى لكأن الكيان الكبير الصخرة التي تحطمت حول سياجه المذاهب الهدامة والأفكار المستوردة.. فقد قالها هو: أرجو أن تكون العربية السعودية الصخرة تتحطم على حدودها المذاهب الهدامة والأفكار المدمرة والاعتداءات الشرسة.

إن الشهيد الملك فيصل.. كان الوداعة كاملة في استقباله، والرقعة في إقباله.. لكن الوداعة والرقعة لم تأخذ من هيئته شيئاً.. كساه الله الهيبة.. صنع بها كل القوة.. لا يتصنعها وإنما صنعها الله له.

إن هيئته كانت سلاح السلام، وصمام الأمن. وعرفت الأمير الملك

أول ما رأيته في المدينة المنورة عائداً من رحلة المفاوضات يسرع بالنتيجة إلى والده العظيم يتقدم إليه بما لديه . وكانت المدينة قد شغلت باستقبال البطل - الملك عبد العزيز . . جاء إليها يتفقدوها في زيارته الثانية - بعد القضاء على الفتنة . . كانت المدينة قد شغلت بالبطل . . فلم يحظ كثير من أهلها بلقاء الأمير . ولكن صديقنا الوالد الشيخ عبد العزيز الخريج رحمه الله . . قد حدثنا طويلاً عن مشاعر الأمير، وعن كثير من أعماله وأخلاقه . . عرفت ذلك بالتلقي حين حرمت اللقاء .

وفي مكة وفي الطائف نراه في أعماله . . نرى الوقار واللمسة الرقيقة، والتوجيه الحصيف . . إنه حاكم يمسك الزمام بيده، ويعطي اللامركزية للرجال الذين كانوا أهلاً للثقة، وكانوا أهلاً لأن يعرفوا قوة الهيبة له والهيمنة منه . . فلا تكاد تلمس شذوذاً في عملهم . . فعلوا الكثير تحت قيادته بالقليل الذي استطاعوا التصرف به .

وكان اللقاء في مدينة الخرج . . جاء إليها في عام ١٣٦٢هـ - فذهبت إلى مجلسه - فإذا هو يتحدث بإفاضة عن والده العظيم بكل الفخار والتعظيم، ويتحدث عن أخيه الأمير تركي بن عبد العزيز الابن البكر للبطل العظيم - حديث المحبة والإكبار، وكان يسمع الحديث الأميران صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد، وصاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن عبد العزيز .

كانا يسألان ويجيب . .

سألاه كأنما هما يطلبان الشبيه لعبد العزيز . . فقال كلمته :

من كعبد العزيز؟

عبد العزيز «مطزح الجن» ليس له شبيه فينا حتى يكون في غيرنا . درس تلقيته منه . . تاريخ تعلمته عنه .

ومضت أيام كان لزاما علي أن تصلني به الجريدة ما دمت قد احترفت الكتابة، وما دامت الجريدة في كثير من أحوالها في نطاق مسؤولية مدير التحرير أو رئيس التحرير - حتى إذا تشرفنا بالجلوس إليه . . تعلمنا الصمت، وتعلمنا أكثر حين نراه يسمع ويسمع . . فما أقدره على طاقة السماع . . إذا أعجبه الجيد علق عليه بإيجاز، وإن أسرف بعضنا بما لا يستجيد عف في إغضاء لا يخرج . .

فكم من ملاحظة دقيقة ينسب بها في معارضض الكلام . . يحث بها من وجهت إليه . .

فقد كنا نجلس بعد مغرب يوم . . فإذا به يقول: «النسبة إلى الكرة . . كروي . . لا كري» - كان يعنيني بها . . يعلمني الصواب . . فقبل يومين من هذا التوجيه كنت كتبت كلمة . . ذكرت فيها أن شيخ الإسلام ابن تيمية . . في الرسالة العرشية . . قد نوه بكروية الكون فكتبت . . كرية بدل كروية . . استعذبت الجرس فتجنبت الصواب . . فعرفت أنه قارئ وناقد يتحرى الصواب ليعلمنا الصواب .

وذهبت إلى الولايات المتحدة الأمريكية في زيارة لها ونزلت في روما عامداً لأتشرف ببلقائه، وقد كان فيها . . في طريق عودته يتسلم زمام الأمور في بداية الحرب اليمنية . . أوصلني إلى جراند أوتيل الصديق الابن عبد العزيز بن ناصر العبد الله العقيل . . جلست إليه فأخذ يسألني عن البلد والناس ومشاعر الناس . . فقلت كلمة . . «كل بلدك أنت رجاؤها اليوم» .

وسردت أسبابا كثيرة لا داعي لشرحها، ولم أكن فيما أخبرته قد زدته

علماء . . فإخوانه الرجال لم يدخروا وسعاً في إبلاغه عن كل شيء فهو يريد أن يعرف ويعرف . . فدأبه ألا يتصرف بجهالة . .

وعدت من الولايات المتحدة أسكن جدة . . حريضاً على ألا يفوتني مجلس .

وفي ليلة من تلك الليالي وكنا جماعة من المثقفين على مائدة العشاء . . طرح هذا السؤال: أنتم يا قراء القواميس ما هي الديمقراطية؟

فتكلم واحد وثمان وثمان . . كلهم يطرح التعريف الأكاديمي عنها الذي عرفوه من قراءاتهم لتعاريفها عن الغرب . . صاحب التعامل معها كشيء مثالي توصلوا إليه ويفخرون به، وتكلمت أخيراً فقلت:

«إن الديمقراطية ما نحن فيه الآن . . أنا وأمثالي وهذا اللفيف كله على مائدتك، وكلنا من أفراد الشعب نجلس على مائدة العشاء . . يفتح لنا الباب . نأكل معك . . نتحدث إلينا ونتحدث إليك . . هي الديمقراطية . . هذه هي تقاليد الإسلام، وتعاليمه، وهي تقاليد العروبة وسلوكها».

إن الديمقراطية . . كنظام لا يعرفها العرب وليسوا في حاجة إليها . . فإنهم بالإسلام وبأخلاقهم ومزاياهم . . قد مارسوها . . تعلموها فعلموها، وعاشوا دهرهم القوي في التعامل معها.

فأي ديمقراطية تبلغ هذا السلوك الممتاز من المليك له أكثر من مجلس يرتاده الناس بمطالبهم وشكاواهم فلا يصد أحداً . . يسمع من كل من يقف بين يديه .

وهناك ميزة تميز بها . . فلم يكن أذن سماعاً لوشاية أو لشكاية من جانب واحد . . كان يسمع فيتحرى .

لا يصدق الوشاية من أول وهلة.. لا يكسوها الصدق مهما كبر
مصدرها.. ولا يرميها بالكذب وإن صغر مصدرها.. التحري والتحقيق هو
جالب الصدق وطارد الكذب.

كل هذا جعلني أضع كلمة الفاروق عمر بن الخطاب يصف بها كسرى
العرب معاوية بن أبي سفيان.. مفصلة على مقاس الملوك.. كأنه هو وابن
عمه معاوية على نسق واحد.

قال عمر يصف معاوية:

«ذلك الذي يضحك عند الغضب.. ولا يؤخذ الأمر من فوق رأسه إلا
إذا وضعه تحت قدميه».

وفي ليلة أقبلنا على المائدة.. فجلس بجانبى رجل لم يتحمله
كرسيه.. فسمعنا صوت الكرسي كأنه قد تكسر تحته، وضحك اثنان
بصوت مرتفع.. فتغضن وجه الملوك بغضبة رقيقة..

علام تضحكون؟

قالوا الكرسي.. سمعنا صوته.. فقال:

«أنا لم أسمع شيئاً»..

أدب رقيق.. ما كان ينبغي إلا أن نكون جميعاً في وضع المتأدبين،
وقبلها.. جلس وزير عربي من شرق السويس بينه وبين الملوك صلة وثيقة
وتعارف قديم، وكان هذا الوزير قد جلس يضع رجلا على رجل قريباً من
الملوك، ويلعب بالمسبحة.. يفرقع لها صوت..

وتكلم الملك.. يسأل عن فائدة العلم.. بصيغة يشتت منها معنى
الإنكار.. كأنه يسحب الوزير سحباً ليتكلم. فقال هذا الوزير: أنت يا

مولاي تسأل عن العلم وعن فوائده ومنافعه.. فقال الملك: أنت جعلتني أسأل. في مجلس تضع رجلا على رجل، وتفرقع في المسيحة.. فما استفدت من العلم.. وسكت الرجل ولعلّه ذهب فلم أره بعدها!.

لأنه عرف أن زينة العلم في السلوك الزين.

كان ذلك درساً تعلمه الوزير وتأدبنا به.

لقد تحمل في دعوته للتضامن الإسلامي كثيراً من الأقاويل.. ولكنه كان الصخرة التي تحطمت عليها كل الأقاويل.. فكل الذين قالوا المذمة أصبحوا ألسنة الثناء.

إن العرب قوة بما أعطاهم الله.. ولكنها القوة التي لا يبرز تأثيرها إلا بإيمانها.. إسلامها.. إلا بالجماعة المسلمة.. فإن تكن قوة الجماعة المدد بالسلاح والرجال.. فإنها هي القوة كل القوة، بقلوبها يجمعها مسجد حين تسجد وتركع.. تهز الدنيا بالكلمة الناصرة الله أكبر.

لقد عرف الفيصل هذه القوة.. فلم يأخذ منها شيئاً لذاته.. وإنما كانت هبة لأمتة العربية. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

لقد لبسته روحانيته.. ما أكبر تواضعه حين يتحدث عن آماله. كأنما هو يرى هذه الآمال حقيقة واقعة من مكلف بتحقيقها.. كان إذا تحدث عن إيمان تشع منه ألفاظ شفافة.. تحدث عن رؤيا رويت له فقال: في ليلة قبل ثلاث سنوات على مائدة الأمير فهد بن عبد العزيز.. فأخذ الملك يتحدث عن هذه الرؤيا له قال وعلى وجهه نور:

لقد جاء أحد الرجال (من الجربا) يطلب مقابلي فأذنت له فأخذ يحدثني فيقول: لقد منّ الله علي أن أرى رسول الله في العام مرة - ﷺ -

فرأيتَه قبل أيام في عامي هذا يقول لي عليه الصلاة والسلام:

(بشر الملك فيصل بالنصر، وأخبره أن يستعد...).

سمعناه وهو يتحدث - تغمده الله برحمته - فدعونا له بالخير وسألنا أنفسنا عن الاستعداد وكانت الإجابة في أيام العبور ثم في بقاء المعركة حينما أعلن سلاحه.. سلاح البترول. قلت لجلالته بعد ذلك وبعد العبور:

لقد كنا نسأل عن الاستعداد، نستبعد أن يكون سلاحا يحمله الجنود فإذا أنت تفاجيء الدنيا بسلاح تدفق من أرضك الطهر - سلاح البترول.

وفي الليلة الثالثة والعشرين من شهر شعبان قبل رمضان العبور وقبل أن يزور جيشنا في تبوك رأيت هذه الرؤيا فجفلت أن أقولها له.. ولكنني صبح نهارها قتلها لأصدقائي أشهدهم على رؤيتها اليوم..

رأيتني أدخل مكة في ظلة من ظلام.. فإذا أنا بسواد من الناس يقف بينهم الشيخ عادل كردي ابن الشيخ ماجد كردي يتكلم بصوت منخفض فقلت له:

لا أريدك.. أريد أخاك طاهر كردي وقد عرفت عادلا وإخوته.. إلا طاهراً لم أعرفه وقد مات.. فخرج من ظلة كأنها قبة رجل أبيض طوال بلحية مرسلة بيضاء.. ناصعة البياض.. فهرولت نحوه أقبل صدره، فلما رجعت إلى الورا أقبل رجل لا أعرفه، لباسه لباس البادية، يتشمع بشماغ أزرق فأقبل عليّ يعانقني ويقبلني على صدري وهو يجهش بالبكاء.. فنظرت إليه فإذا هو عبد الحكيم عامر.. فجفلت أتأخر فناداني الشيخ طاهر في موقفه المرهب والمطمئن في الوقت نفسه يقول لي: بشره بالنصر.. فإن وراءه رجلكم الملك فيصل ولم تمض أيام حتى كان هو رجل النصر.

ورؤيا أخرى أخبرته بها همساً بيني وبينه أخبرني بها السيد ياسين طه،
وأخبرت بها الصديق، محمد عمر توفيق وزير المواصلات قال لي السيد
ياسين طه :

آمنت بروحانية الملك فيصل . . واسمع السبب .

حدثني عجوز لا أسميها، قالت :

لقد رأيت الملك فيصل واقفا بين المقام والحجر الأسود وإخوانه
واقفون بعيدا ينتظرونه، فأقبل رسول الله ﷺ، ومعه أبو بكر وعمر، فقال له
الرسول : مرحبا بالأمين تقدم إلى مقام إبراهيم . .

فقال فيصل :

هذا مقام الأنبياء يا رسول الله . .

قال :

بارك الله عليك أنت الأمين حارس الحرمين . .

وأخبرني السيد ياسين طه أيضا عن هذه العجوز . وأخبرت الشهيد عن
ذلك همساً بيني وبينه . .

قالت العجوز :

لقد رأيت فيصلا يقبل على المدينة فإذا رسول الله وأبو بكر وعمر يقبل
عليهم الشهيد يسلم بكل الأدب فيقول الرسول ﷺ : مرحباً بخادم الحرمين .
والخاتمة هي أن نسأل الله الرحمة له رحمة الشهداء وأن يديم علينا
نعمة التوفيق .

تقدير

صعب على الإنسان المكلف بأي عمل أن يشير ولو بالرمز إلى ثناء
وُجّه إليه - غير أن العمل الأدبي يلزمه ذلك للحرص على إبرازه، والدعاية
له طمعاً في انتشاره، والاستفادة منه.

لقد كنت متهيئاً من تكليفي أتولى رئاسة تحرير مجلة الدارة خشية ألا
أستطيع الخروج بها راضية عن نفسها مرضية عند قارئها، ولكن الحكم
بالاحترام لمبادئ الدارة وتاريخ آل سعود لا يعني إلا الحب لهذا الوطن
كجزء من الحب لهذا الدين.. دين الإسلام.. عقيدة صافية هي عقيدة
السلف.. أحيا معالمه، وأقام دعائمه الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب،
والإمام السلطان محمد بن سعود، وكل واحد من الأسرتين الكريمتين..
توارثها الأبناء فما شذوا عن مخطط الآباء.

هذا الحب ألزمني ألا أهرب من المسؤولية فكان العون من الله،
والتوفيق منه سبحانه وتعالى.. هذا العون والتوفيق صنع لنفسي وفي نفسي
السكينة والثقة في أن أسير وأسير.. في أدب التلقي من معالي الشيخ حسن
عبد الله آل الشيخ، وفي حذر التوقي من أي خطأ، وفي أمل التطلع إلى ما
ترشدني إليه هيئة التحرير، وفي ثقتي بالقلة التي أعانتي على إخراج
المجلة.

عبد الله الماجد ومحمد الخياط وعلي العفيصان، ولقد أعطتني
المسؤولية الرضا بما تلقيته من ثناء على ما أعطته المجلة.

وتحدثنا بالنعمة، وإبرازاً لمعاني السكينة أنشر قائمة بالأسماء الكريمة
التي تفضلت شاكرة بهذا الثناء.. فأرسلت بذكرات موجهة إلى معالي وزير
التعليم العالي ورئيس مجلس إدارة الدارة حسب مقام المتفضل بها، وإلى
رئيس تحرير المجلة حسب تصور من أرسلها.

فالحمد لله.. أحمدته على توفيقه..

ثم لا يسعني إلا الشكر لكل من تفضل فأعان بهذا الثناء عونا هو أكبر
وأثمن من العون المادي.. فالمعاني في لغة الأدب وأدب اللغة لها التأثير
الكبير فأحسبه صاحب الجدوى التي قد لا تجود بها المادة.

والله ولي التوفيق.

القمة و . . القاعدة

الدعوة إلى الإسلام شع نورها . . وسطع برهانها من هذه الأرض المقدسة، حين أرسل الله القوي الأمين جبريل أمين الوحي فلا يكون المكان إلا حراء . . ولا يكون الزمان إلا رمضان . . ولا يكون الإنسان النبي الرسول الهادي إلى صراط مستقيم إلا سيدنا محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي المكي العربي . .

فليس بدعاً أن يكون دين التوحيد . . الشغل الشاغل لأهل هذه الأرض، بحرمتها ومسجدها وسياجهما في النجود والتهائم والسروات . . فالرسول العظيم منحه الله أن لا يلحق بالرفيق الأعلى حتى يرى العرب في جزيرتهم بعد أن كانوا قبائل مشركة، يجاورهم شذاذ من اليهود ويحيط بهم عرب نصارى . . منحه الله أن يجدهم أمة مسلمة موحدة النهج . . موحدة العقيدة . . فتولى الأمر بعده رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . . فكان الفتح العظيم بعد الفتح المبين . . والنصر الكبير بعد النصر المؤزر . . فلقد كان الرسول قمة رأساً لقاعدة مسلمة . . وكان الخلفاء على مستوى هذه القمة . . قمة القيادة، تنقاد إليهم قاعدة مسلمة . . فحين تصلح القيادة في وحدة مع القاعدة لا ينهزم الإسلام . . وإنما هو بالقمة والقاعدة معا يرد العاديات . . ويهدي إلى الصالحات . . فلا قمة بلا قاعدة . . ولا قاعدة بدون قمة . . من هنا كان النجاح . .

وحين انفرط العقد.. وتشعبت الآراء.. كل فريق يدعو إلى سلطان ليس على مستوى القمة.. كما أن الداعين إلى ذلك السلطان ليسوا في تماسك القاعدة.. تبلبل الأمر وتشعبت الطرق فلم يعد السيف هو الفاتح.. بل ولم يعد السيف في قدرة المدافع لكن الإسلام هذا الدين عجيب.. فالمسلمون الذين دخلوا في دين الله أفواجا بالدعوة المحمدية أولاً.. وبالفتح المسلم ثانياً.. هم أقل عدداً من الملايين المسلمة التي أسلمت بالدعوة المسلمة تدعو إلى سبيل ربك بالموعظة الحسنة.. فانتشار الإسلام بالفتح قد اتسعت به رقعة الأرض.. والإسلام بالدعوة قد تكاثر في تلبية الإسلام الملايين والملايين.. كان هذا الانتشار من فعل الأفراد كأنهم كانوا قاعدة بدون قمة..

وبدأت جزيرة العرب في كثير من بواديها.. وفي الأكثرين من أهل حاضرتها.. يحتاجون إلى إقامة الدعوة فيهم لإقامة الدعوة بهم..

دخلت عليهم خرافات.. وأدخلوا أنفسهم في شوائب تفسد عليهم عقيدة التوحيد.. فلولا أن أئمة نبغوا فيهم.. صانوا الحوزة وحفظوا كثيراً من الناس لكان الأمر صعباً..

لقد انسلخت الجزيرة عن القيام بما هي أهله.. أرهقها انتقال السلطان إلى مواطن أخرى.. وأرهقت نفسها بمن أرادوا أن يكونوا قمماً فيها.. فما مكنوا من وجود قاعدة لهم.. وما أمكنهم أن يدافعوا سلطاناً لا يحب بقاؤه لأنه يحارب انفصالهم، فمكثت الجزيرة مرتعاً للركود وللحركة غير المقيدة تتبع سلطاناً بعد سلطان.. كل ما تناله الاعتزاز باسمها على التيجان.. والابتزاز لقداستها يقتنصه كل سلطان.. ولا يكون الجزاء إلا صدقات وهبات، مما أرخص قيمة الرجال.. ومما تقاعست به همم الرجال..

وجاء دور جديد.. دور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، يدعو إلى العقيدة الصافية، فما استجاب لنصرته إلا آل سعود.. فتكونت بهذه الدعوة قمة صنعت بالوسائل الممكنة ترغيباً وترهيباً.. القاعدة.. والسعودية قمة وقاعدة، تكونت في نجد، فطالت واستطالت حروب السلاطين على هذه الدعوة، على هذه القمة والقاعدة، فتارة ينتصر السلطان العثماني ومن إليه.. وتارة ينهض السعودي بمن معه.. حتى إذا أتم الله النعمة على البطل المرحوم عبد العزيز بن عبد الرحمن فكان القمة ينتصر بالقاعدة ليتشر سلطانه بها.. حتى أصبحت كل الجزيرة قاعدة كان هو قمته.. فلما توفاه الله بقيت القاعدة بالأسرة المالكة قوية، لا تتخلى عن القاعدة ولا تنفصل القاعدة عنها.. في حوار كان شديداً علي.. وفي حضرة الأمير خالد بن عبد العزيز جلالة الملك الآن - سمعت هذه الكلمة من الأمير فيصل بن سعد بن عبد الرحمن.. قال: اسمع، إنا آل سعود حريصون كل الحرص على عقيدة التوحيد.. فلو لم يبق إلا طفل من أسرتنا لقاتل في سبيلها..

سمعت ذلك.. وبرغم ما لحقني من كرب في موضوع آخر أخذتني هزة من المسرة والترحيب..

فالأمر لدي هو أن تكون هذه الأرض على أساس من ماضيها مسلمة حق الإسلام.. داعية للإسلام.. لا تشذ عن ذلك ولا تخشى فيه لومة لائم.. فالإسلام قيمة هذه الأرض.. قيمة إنسانها.. بل وكما قلت: هو دينها كما هو وطنيتها.. دعونا من البترول.. لو لم يكن هذا الإسلام.. ولو لم يكن هذان المسجدان، لكانت الأرض اليانعة من أرضين هذه الدنيا أدعى للسكن فيها والاستقبال لها.. لكنها القبلية.. لكنه الإسلام مَيَّز هذه الأرض رغم الجفاف ورغم الصحاري.. بل إن هذه الصحاري أصبحت في

مشاعر المسلم جنة بما فيها من معانٍ، لا بما عليها من مبانٍ.

ولكي أصل إلى السبب في هذه المقدمة أحب أن أذكر أهلي وقومي بالمرسوم الملكي الذي صدر يكلف الأمير سلطان بن عبد العزيز برئاسة الدعوة إلى الإسلام.. كأنما القمة أرادت أن تمسك بالقاعدة.. وكأنما هي الدعوة إلى القاعدة أن تكون المسلمة لنفسها والداعية إلى الإسلام بسعيها.

إننا سنكسب كثيرا بهؤلاء الدعاة يدعون إلى سبيل الله شعوبا مسلمة تبصر بأمر دينها.. وشعوبا غير مسلمة تدخل الإسلام.. دين الرحمة لتتخلص من طغيان الضلالة والكهانة والمذاهب الضالة.

لكن لا أريد أن يقتصر الأمر على الدعاة.. بل أقترح أن تنتشر الدعوة في كل بقعة من أرضنا بالمسجد يكون إمامه عالماً يدعو إلى الإسلام.. بالمسجد يبقى جامعة فلا يترك هكذا.. - فلدينا علماء كبار سواء كانوا السعوديين أو من الذين تفضلوا فأصبحوا أساتيد في جامعاتنا.. حبذا لو أن أستاذ العلم المسلم في الجامعات يتفرغ ولو لدرس واحد في المسجد بعد المغرب، لا يقتصر ذلك على المسجدين، بل في كل المساجد.. العلماء كثيرون، فإذا ما تفرغوا لدرس واحد، كان ما ينشرونه من العلم المسلم بين الآباء هو بطريق غير مباشر تعليم للأبناء.. فأباؤنا الأميون الذين كانوا يحضرون دروس المسجد تعلمنا منهم الكثير، فأستاذ الجامعة حين يدرس بالمسجد هو بطريقة غير مباشرة يعطي الدرس لطلابه عن طريق آبائهم.. حين تعمر المساجد بالعلماء نستطيع أن نؤسس القاعدة لنشر الدعوة في كل بقعة من أرضنا لينتشر رجالها في كل بقعة من الأرضيين..

وقد تولى هذه الأمانة سمو الأمير سلطان وهو حري أن يقوم بشأنها..

والله ولي التوفيق..

الأرض والأمن والوحدة

المملكة العربية السعودية برزت قوةً لها مكانتها في دنيا العرب وفي مشاعر الأمة الإسلامية من أول يوم عرف العالم فيه قيمة الأمن في الأرض المقدسة.. فتوحيد الجزيرة تحت رعاية الملك عبد العزيز أعطى العرب صورة واضحة عن قيمة الوحدة تنادي بها وتسعى الشعوب العربية بوسائل شتى لتحقيق هذه الوحدة بين شعوبها.. في صورة من الجامعة العربية، في تضامن عربي - إلى غير ذلك مما تحقق نجاحه واتضح فشله.. فالوحدة المثال هي ما تحقق على يد البطل المرحوم الملك عبد العزيز طيب الله ثراه.

وقد أخذت وحدة الجزيرة القيمة كل القيمة بهذا الأمن.. بهذا الثبات لها.. أثبتت به وجودها وثبتت به وجودها وإيجادها وحتى إجادتها.

فالأمن أعطى الدولة القيمة.. فلا قيمة لدولة بلا أمن والوحدة أعطت كل العرب قيمة جديدة، ولا نجاح للعرب إلا باتحادهم على أية صورة.. لكن الصورة الصحيحة هو ما يتحقق بالاختيار.. ما تلزم به ضرورة الانتصار.. لا بما يفرض بقوة الكلام أو بالشعارات.. فوحدة السعودية تجربة رائدة، والأمن فيها برهان يتضح للذين يمارسون سياسة أي دولة على أنه هو القيمة لهذه الدولة.

فالتنمية والعدالة وراحة الإنسان كلها من عطايا الأمن.. . أمكن به صون الثروة في الأرض وإخراج الثروة من الأرض، واستثمار الثروة لخير الأرض وعمرانها، وأضافت السعودية قيماً جديدة فلئن كان الأمن والوحدة أساساً فقد جاء المكان أعني الأرض بكل مقدساتها صانعاً قيمة أساسية ولا بأس أن نقول إضافية، فقبل الوحدة والأمن فإن مكانة الأرض هي القيمة وبعد الوحدة والأمن.. . أضافت مكانة الأرض قيمة.. . غير أن القيمة الحقيقية هو إدراك ما لهذه القيم من قوة.. . فحين عرف الملك قيمة أرضه.. . قيمة الأمن.. . قيمة الوحدة.. . صاغ سياسة الدولة على أساس هذه المعرفة وهذا الإدراك.. . لا يعارض باتحاد كلمة العرب.. . بل يسعى لأن تكون.. . لا يتداخل فيما يعكر أمن أي شعب جار له.. . أخ في العروبة لأن معرفته لقيمة الأمن حببته أن يصون الأمن في كل الجوار.. . في كل الشعوب العربية ومعرفته لمكانة أرضه في قلوب العرب والمسلمين جعلته يصون هذه المعرفة بأن تكون المقدسات مصانة مفتوحة الأبواب لمن يصلي للقبلة.. . لمن يتغنى بالعروبة.. . لمن يتلو آية من القرآن.

كل هذا إمكان.. . كل هذا مكانة.. . جعل الدنيا كلها تعرف قدر السعودية فتسعى إليها.. . كل يوم تستقبل الرياض ثائراً عظيماً تقديراً لهذه المكانة، وكل هذا مرة أخرى زاد ارتفاعاً بتحرك السعودية إلى المؤتمرات والزيارات والوساطات تشارك كل مؤتمر فيه خير إسلامياً وعربياً، وحتى إنسانياً تتصل بالعالم كل العالم.. . توضح الحق العربي وتحارب الباطل الإسرائيلي.

ولا ننسى أن الذي جعل أفريقيا تأتي مختارة في طواعية معززة إلى التضامن مع العرب هو الخط الذي سار عليه المرحوم الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز.

فليس ادعاء لا يقوى على تكذيب الواقع أن نقول هذا القول «إن فيصل هو الأول من قادة العرب الذي مد يده إلى إفريقيا» لا يعنيه ثائر في داخل أي دولة ولا يتخذ موقفاً سالباً ممن رضىه أي شعب إفريقي رئيساً على دولته، صداقة للجميع بصدق مع الجميع.

وجاءت حرب رمضان فإذا الملك فيصل لا يتركها تنتهي بوقف القتال، وإنما تداركها لثلاثين عاماً دون جني ثمراتها فأبقاها زمنها الطويل حتى الآن معركة منتصرة بسلاح البترول فعمل عبد العزيز في نهجه القوي السليم وعمل.

الملك خالد بن عبد العزيز

الفصيل في نهجه المستقيم هو عمل الملك خالد بن عبد العزيز بكل القوة وكل الاستقامة، فليس هناك في سياسة الملك خالد ما يشعر بتخطئة ما صنع أبوه وأخوه.. بل كل مجد الملك خالد في أن يكون صديقاً صادقاً مع ما فعله أبوه وأخوه.

- إن السعودية لا تريد أن تبسط سلطانها على أحد ولكنها تريد أن يبسط العربي سلطانه على نفسه.

- إن السعودية لم تبخل ولن تبخل بما لها من مكانة توضحها للدنيا كلها لتجعل ساسة الدنيا أصدقاءها أعداء لكل طغيان وكل باطل ولكل عنصري.

- إن السعودية تصادق من يصادق الحق، وتحارب من يصادق الباطل.
ولا يسعنا إلا أن نسأل الله أن يديم جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ووليَّ عهده ميمون النقيبة الأمير فهد بن عبد العزيز وحفظ الأسرة المالكة في وفاق وفي عزة..

الدارة في عهدھا التذكارى

تسمية دقيقة خرج بها الذين اخترعوا هذا الاسم لئلا يكون اسمه المهرجان الإسلامى . . فالإسلام الدين هو مهرجان هذه الدنيا، ومهرجان المؤمنين بهذا الدين يوم يبعثون، هو مهرجان إنسان الأرض المسلمة . . كما هو مهرجان الأرض المسلمة .

وجدت قراءة جديدة يقرأها الغربى بأسلوب مجسد فى الأمثلة التى أبرزت بأروع الصور فى متاحف لندن ومنشستر .

مهرجان وليد المؤتمر . . فالمؤتمر الإسلامى مهرجان لنا الفكر المسلم، ومهرجان العالم الإسلامى يمهج لنا حضارة المسلم .

ولئن كان قد وجد فيه - فى زحام الزخرف والدعاية بعض ما تنكره - فإن فيه الكثير والكثير، والجميل الجليل، والتحفة والأثر وكل هذا ينبغي ألا نتنكر له .

حين رأيت روعة المصاحف كبرت وأكبرت، فقلت (مهرجاننا كل يوم هكذا) كلمة مترفة نطق بها لسان شيع من ترف اللغة الشاعرة . . الحضارية . . قالها إمام كرمه الخليفة العباسى فأعرب عن شكره بالاشتقاق الرائع . . فلئن فقدت الحضارة الإسلامية الإمبراطورية السياسية فهى ما زالت صاحبة السلطان فى إمبراطورية اللغة، فاللغة حين تصبح فى مجال

اتسع في رقعة الدنيا كلها.. معلما يبرهن على حضارة إنسانها.. فليست التحفة والأثر والمثال الرائع.. إلا لغة مجسدة تعرب عن إنسان يعرب بلسان مبین.

وحین رأیت القراءة الجديدة في الإنسان الأوروبي لم أشعر بزهو وإنما تعلمت الجديد من الأسلوب في عرض ذخائرنا الفكرية الحضارية على الناس، أراهم جمعا كبيرا من الإنجليز والسواح يقف الواحد منهم أمام التحف والآثار موقف المتعمق والمتعاطف كأنما هو يزداد ثقافة.. ترى على وجه كل واحد انبهارا بما يرى من هذه الحضارة حتى إني أراهم وقد شبعوا من النظر وامتلأوا من القراءة المترجمة لهذا الأثر يلتفتون ناحية الشرق كأنما هم يقولون:

هكذا أنت أيها الشرق المسلم تصنع هذه الحضارة في أحقاب التاريخ تعطينا البرهان على أنك الأستاذ المعلم.. لنا نحن الغربيين.

والتفت إلى الصديق المترجم معنا الأستاذ محمد صالح الشوريجي وإلى ابنتي الجامعيتين وهما برفقتي أنشد قول شوقي:

في مهرجان هزت الدنيا به أعطافها واختال فيه المشرق

قراءة جديدة.. يقرؤها الأوروبي والأمريكي على نطاق واسع.. تشبع العالم والمثقف ويدرك الآخرون من غير هؤلاء ما لم يدركوه من قبل.

كتب المستشرق ألمانياً، فرنسا، بريطانياً إيطالياً، روسياً، أسبانياً.. عن حضارة العالم الإسلامي الكثير والكثير، معروفة أسمائهم لدى القارئین.. مجهول ما كتبوه لدى الأكثرية من بني الإنسان، فنادر جداً أن قرأ المثقف العربي بعض ما كتبوه ونادر جداً أن قرأ الغربيون ما كتبه المستشرقون فجاء

هذا المهرجان قراءة جديدة.. لا يمتاز بها المثقف وتعطي لغيره ميزة المعرفة، من هنا كان احتفال المجلة بالمهرجان.. تتجاوز عما أنكرناه وتجتاز الطريق واضحة إلى كل ما لم نتنكر له.

فالأوروبيون - قد ذقنا منهم الأمرين - إما بصورة من التجاهل، أو هي الصور أكثر من الجهل.. فالمهرجان.. هذا المهرجان وليد المؤتمر الإسلامي قد جاء فاضحاً للتجاهل، واضحاً أمام الجهل ليكون من جهل بدأ يتعلم.

والمجلة حين تحفل بهذا كله إنما هي تعطي للقارئ وللآخرين معرفة واضحة عن حضارته وقيمة أرضه وحرية إسلامه ونصاعة إيمانه وإنسانيته وإنسانيته.. أفرغت جهدها أن تعتني وأن تقتني فلم تخرج بالمجلة عن تقليدها وإن أخرجت جلها بتقليد جديد.. ومهرجوناً كل يوم هكذا.

ولا يسع المجلة إلا أن تعطي لمعالي وزير التعليم العالي كل شكر لأنه صاحب الفكر في ابتعائي إلى لندن كما هو - بعد الله - صاحب العون ومالك التوجيه.

الذين عاشوا فترة سابقة، وهم من أسميهم جيل التجربة تارة، أو جيل الحمد تارة أخرى، يشعرون بشيء من شكر النعمة التي أنعم الله بها عليهم.

وحدة الكيان.. في دولة سارت الهوينا في التقدم حتى بلغت تفوقاً يشاد به حين نذكر، ويحمد لها حين نشكر.

بالأمس ندوة للشباب المسلم كأنها من ثمرات التضامن الإسلامي غرس جذوره فأينعت، الملك الشهيد فيصل، ضم برلمان أمر السعودية الدولة، والسعودية الأسرة، والسعودية الشعب، فالكل مسلم على الذروة.. عربي على السنام.

وبالأمس مؤتمر للفقه الإسلامي، يحرص على عودة الشريعة وتطبيق الشرع على أساس من الكتاب والسنة، والفقه الثابت عن الإمام المسلم صان السنة من الكذب.. جمع الصحاح والمسانيد، وأخرجه فقهاً شريعة تعامل.. وأبرز وضوح العقيدة السليمة، توحيد رفع به الإنسان رأسه إلى السماء لا يرخيها على الأرض فوق كرسي اعتراف.. وبالتوبة جعلت الاعتراف لله الواحد المعبود بحق ولا معبود سواه.. وحده الرب خالقاً.. والله إلهاً لا شريك له.

وبالأمس ترفع الجامعات رأسها في أكثر من موطن.. كأن الكيان الكبير قد حزم بحزام العلم من خليجه إلى بحرهِ الأحمر..

جامعة الرياض كلية الطب يتخرج منها عشرين كاملتان عشرون طبيباً نعرف أسمائهم ونتعرف على سيماهم، فإذا جامعة لندن تثني عليهم ثناء المبالغين بالثناء الأعم لمن كان أهلاً له.

أفليس من نعمة الله أن يشكره واحد مثلي كان في ظنه الواطن أن هذا بعيد الوصول إليه.

ولكن الملك الشهيد.. صاحب الكلمة في سجل جامعة بريطانيا، يوم زارها، وهو فتى، في أول زيارة، فقد كتب في دفتر الزيارة هذه الكلمة: (إنني أتمنى أن تكون في بلدي جامعة..).

● تمنى فلم ينم، وإنما هو فعل.. وفعل فإذا هي الجامعات..

إن تفوق السعودية، سارية عبد العزيز الملك البطل.. سيرة العباقرة شمالاً جمع.. أرضاً وحد.. عقيدة رسخ.. دولة شيد.

وسار بالمسيرة فيصل.. حدنا صانه.. به الدولة والأرض ومكانه إلى
فوق.. وجامعات.

الملك خالد يسير على النهج في صراط مستقيم.

إنهم الملوك الآباء الراحمون، تجلى عليهم الله بهذا التوفيق.

ولا أنسى ما بذله ولي العهد فهد بن عبد العزيز من نشر المدرسة في
كل بادية وحاضرة، فله فضل الوزير الأمير.. له تاريخ في نهضة التعليم..
وله تاريخ في نشر القيم.

نعم.. وكما استهل الدكتور الفدا بالكلمة الوارفة.. أعيد تكرارها (رب
أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي..).

مؤتمر الفقه الإسلامي

مؤتمر الفقه الإسلامي ليس بدعا أن يعقد في الرياض، تحتضنه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهو ليس أول مبادرة من الدولة السعودية المسلمة والعربية.. تصنع نفسها من أول يوم من أيامها.. الناجحة بنشر الدعوة السلفية - نجاحاً في تشكيل قاعدة على أساس من هذه العقيدة، تقودها إمامة فرضت على نفسها أن تنصر الإسلام وتعود به إلى عقيدة السلف. لأن هذه الإمامة عرفت أنه لا يصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وما هو الفقه؟

سيأتي تعريفه لغة بعد، وستأتي الخواطر عنه كذلك.. تشرحه وتوضحه وتضعه أمام الفهم الصحيح فكراً صحيحاً.

إن الإيمان في تعريفه: هو قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان.

القول باللسان: هو الإسلام في الشهادتين وما بعدها من أركان، واعتقاد الجنان هو رسوخ الإيمان والتصديق به وله - أما العمل بالأركان فلا يعني إلا الفقه، فالفقه إذن هو الفقرة الثالثة من تعريف الإيمان ينظم أعماله، يبين أحواله، يسعد مآله، ويرقى بالمسلم إلى عمل نظيف، سواء كان عبادة أو تعاملًا أو عادة، فالإسلام عملاً ودينًا لا بد أن يكون مفهوماً بالفقه.

ومن الدقة بمكان أن نظام التشريع الإسلامي لم تكن له التسمية بالنظام أو القانون وما إلى ذلك. . وإنما كانت التسمية الدقيقة هي الفقه، فالنظام والقانون تحديد قد يكون جامداً على نصوص وضعت. . أما الفقه فمستمر في كل حال وكل حادثة. . في كل لحظة نجد الفقيه يصدر الحكم مستمداً من المصدر، وما هو المصدر للفقه: هو الكتاب والسنة فالتعريف الدقيق هكذا. . الكتاب والسنة المصدر للفقه. . تعريف حاصر للمصدر. أما التعريف الآخر: الكتاب والسنة مصدر للفقه. . فإنه يدخل عليه مصادر أخرى، وحتى الاجتهاد كمصدر أو القياس فليس هو الرأي دون دليل مستمد من الكتاب والسنة، فالسرمدية لهذا الدين تعني المرونة في إصدار الأحكام المستمدة من المصدر.

والمذهب في التعريف الصحيح ليس عقيدة المسلم، وإنما هو فتوى الإمام يؤدي بها المسلم أعماله ثم إن الوضع في ذلك هكذا.

العامي لا مذهب له - فالمذهب مذهب المفتي إن وجد المسلم يسير نحو الميسرات. . أفتاه بما يعسر لئلا يقع في هذا الميسر. . فينحل أمره وإن وجد المسلم في عسر جاءه المفتي يسر يخرج منه عسر.

ونأتي بعد بالتممة التالية عن خواطر التعريف وخواطر الإلزام بالفقه.

فالفقه لغة: هو العلم بالشيء والفهم له، أما في الاصطلاح: فهو العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، أو هو «معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة» على حد تعبير ابن خلدون في مقدمته الشهيرة.

وليس تعبير ابن خلدون إلا تعريفاً لمعنى التشريع من الفقه. . أما التعريف لغة ففي هذه الآية: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ

عُقْدَةٌ مِّنْ لِّسَانِي . يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿ طه : ٢٥ - ٢٨ ﴾ .

وفي هذه الآية : ﴿فَالْهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (النساء : ٧٨) .

كما هو التعريف في هذا الحديث في دعوة رسول الله - ﷺ - لابن عباس - رضي الله عنه : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ، وكما هو في الحديث الآخر : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين .

والتشريع الإسلامي لا يهتم بالجانب الديني من حياة الإنسان فحسب ، وإنما هو يوائم بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد ، ويواجه الحياة على هذه الأرض لكل ما فيها من صور النشاط الإنساني ، فإلى جانب تنقية العقيدة والارتفاع بها عن كل الشبهات ، يحرص التشريع على تنظيم المعاملات والعلاقات الإنسانية للمجتمع الإسلامي تنظيماً دقيقاً . ولهذا جرى العرف على تقسيم مباحث الفقه إلى عبادات ومعاملات ، والحقيقة أن كلمة المعاملات هنا تتسع لتشمل كل المباحث القانونية المعروفة في العصر الحديث بما في ذلك القانون العام والخاص والقانون المدني وقانون العقوبات ، بالإضافة إلى المباحث السياسية والاجتماعية .

ولقد استطاعت مبادئ الفقه الإسلامي وأحكامه أن تحكم النشاط البشري للمجتمع المسلم خلال قرون عديدة ، وأن ترى قواعد السلوك الرفيع لبني الإنسان ليضمنوا لأنفسهم حسن المحيا والممات وحينما توقف المد الإسلامي وأصيب المسلمون بالعقم والجمود وبدأت الحضارة الغربية تقتحم على المسلمين أبوابهم ، لم تستطع تلك الحضارة بكل ثقلها أن تنال من جانب العقيدة ، ومن ثم ركزت هجومها على الجانب التطبيقي لحياة المسلمين ، فمضى أديباؤها يزعمون أن نظام الحياة الإسلامية هو المتسبب في جمود المسلمين وتخلفهم عن ركب المدنية الحديثة .

«ولما كان الفقه هو الذي يمثل هذه الناحية في حياة المسلمين، كان هو خط الدفاع الأول للإسلام ضد هذه الهجمات المتواصلة من قبل المدينة الغربية» كما يقول الدكتور علي حسن عبد القادر في كتابه «نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي».

ومن هنا كان لا بد لمؤتمر الفقه الإسلامي هذا أن يناقش قضية تطبيق الشريعة الإسلامية وصلاحياتها لكل زمان ومكان، وأن يرد الشبهات التي تثار حول تطبيق تلك الشريعة الغراء في عصرنا الحديث، وأن يكشف الأبعاد الحقيقية للغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام.

وفي وقت لا يوجد فيه دولة إسلامية على وجه الأرض تطبق شريعة الإسلام وحدود الله غير المملكة العربية السعودية، يجد المؤتمر نفسه أمام تحد كبير ينبغي أن يتصدى له، ولهذا كان موضوع القضاء في الإسلام وأثر تطبيق الحدود الشرعية في تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع من الموضوعات التي فرضت نفسها بإلحاح على هذا المؤتمر الكبير.

وفي عصر تتصارع فيه القوى العالمية وتتعدد فيه المذاهب الاقتصادية بما لها من انعكاسات على الأوضاع السياسية والاجتماعية، يتلفت المسلم حوله فلا يجد غير النظام الربوي يحاصره من كل اتجاه متمثلاً في البنوك وشركات التأمين وغيرها من المؤسسات الاقتصادية الحديثة. ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن الإنسان المسلم في أي مجتمع من المجتمعات - حتى الإسلامية منها - كثيراً ما يجد نفسه مضطراً للتعامل مع بعض هذه الأنظمة من قريب أو بعيد. ومن هنا تبرز أهمية معالجة قضايا الاقتصاد المعاصرة في ضوء التشريع الإسلامي ومدى وفاء الشريعة الإسلامية باحتياجات البشر الاقتصادية، ومن هنا أيضاً كان موضوع «تطبيق النظام الاقتصادي

الإسلامي وأثره في المجتمع» و «المصارف الإسلامية بين النظرية والتطبيق» من موضوعات البحث في هذا المؤتمر.

وإلى جانب تلك الموضوعات الحيوية التي طرحت للبحث والدراسة، اهتم المؤتمر بموضوع الاجتهاد في الشريعة الإسلامية باعتباره بابا ينفذ منه المسلمون لمواجهة مشكلات العصر الحديث. وكذلك حرص المؤتمر على إبراز دور التربية الإسلامية والإعلام في نشر القيم الإسلامية بين أفراد المجتمع. ولهذا طرح تلك الموضوعات ليتناولها المؤتمر في أبحاثهم.

وبعد:

فإن المجتمعات الإسلامية تواجه تحديات خطيرة تفرضها الحياة الحديثة التي تحياها تلك المجتمعات. ومن حسن الحظ أن الحضارة الغربية التي استطاعت أن تتفوق على حضارة المسلمين في مجال العلوم والتكنولوجيا لم تستطع أن تقدم لمجتمعاتها من التشريعات ما يرقى إلى مستوى الفقه الإسلامي الذي يمثل صميم الشريعة الإسلامية. وواجب فقهاء المسلمين الآن أن يواجهوا التطورات الحضارية التي تعيشها الشعوب الإسلامية المختلفة، وأن يقدموا لهذه الشعوب صيغة متكاملة للحياة بأبعادها النفسية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية تكون مستوحاة من شريعتهم السمحة الغراء.

مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب

ابتدأت الكلمة في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب بالدوحة عاصمة القطر الشقيق قطر، فقلت:

«لسنا في حاجة اليوم إلى مجد التاريخ أو تاريخ المجد.. ونحتاج اليوم إلى هيبة التاريخ لهيمنة التاريخ وحب التاريخ، ولن نخشى هيبة التاريخ، ولن يكون حبه بانفرادية يؤرخ كل شعب عربي لنفسه، فإن ذلك يعني ازدواج السلوك، فكل عربي في أي بقعة من أرضه.. لا يسترخي أمام ما يطلبه العون، وما تلزم به الحماية عوناً لكل شعب من أي شعب.. حماية أي شعب لأي شعب، فالشعوب العربية أمة واحدة ديناً.. وأرضاً، ولغة ومصالح، ومصائر».

هذا المبدأ ينبغي أن يكون سلوكاً واحداً فإذا ما شذ رجال يكتبون التاريخ.. ليكتبوا عن شعبهم فقط ينفردون بالأمجاد ويتفردون بادعاء التفوق.. فإن ذلك أحسبه شذوذاً عن مطلب الوحدة.. أو هو التعطيل لها.. فلنكون تحت طغيان الأحداث أصحاب المشاعر المتوحدة، وفي غفوة الأحداث لا نكون إلا أصحاب المشاعر المتفردة.

لكيلا نكون كذلك ينبغي أن يكون تاريخ الأمة العربية واحداً، وقد

حملني هذا الشعور لأن أقول في (سيمنار) جامعة عين شمس بالقاهرة (٧ مايو ١٩٧٧م).

إن الأمة العربية ذات حضارة متشابهة - تمتد من القرون السحيقة - فالذين نحتوا الجبل من حجر ثمود «مدائن صالح» أو في سلع «البتراء» في الأردن. هم من أعراق أو إخوان الذين بنوا الجبل أهرامات في مصر، في أرض ليس فيها جبل.

وما أعذب هذه المقارنة في القرآن الكريم وما أصدقها ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ (الفجر: ٧) .. ﴿وَتُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ . بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ﴾ (الفجر: ٩ - ١٠).

فالقرآن علمنا تاريخ هذه الأرض وإنسانها بما ذكرت ثم بما ذكر عن بابل وأصحاب الرس (الأنباط) وبما قص عن ذي القرنين، فذو القرنين ليس هو الإسكندر المقدوني، وإنما هو المصعب بن الحارث اليميني كما ذكر ذلك المقريزي ونشوان اليميني في قصيدته المؤرخة لليمن، نشر ذلك الأستاذ الدكتور معروف الدواليبي في كتابه «دراسات تاريخية عن أصل العرب وحضاراتهم الإنسانية».

فالقرآن أعلن وحدة هذه الأمة ووحدة تاريخها ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢) فحرام على الأمة العربية اليوم أن تكون على لسان مثقفيها رجعة انفرادية إلى الفينيقية والفرعونية وما إلى ذلك بينما كل هؤلاء من هذه الأعراق - أعراق هذه الأرض عربية - خالصة.

من هنا أخذت هذه المجلة «الدارة» أن يكون عددها الثالث في عامها الثالث مؤرخا لندوتين هما «ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالدوحة، وندوة

دراسة مصادر تاريخ الجزيرة العربية بجامعة الرياض» الرياض .
ولعلّها تجد فرصة لنشر بعض الأبحاث التي أقيمت في ندوة سيمنار
جامعة عين شمس في عدد آخر فكلها حلقات متصلة لتاريخ أمة وحدة ..
في أرض واحدة .. لمصير واحد ..

الهجرة المحمدية

يواكب إصدار هذا العدد الرابع من مجلة الدارة في عامها الثالث.. شهر الهجرة المحمدية.. محرم الحرام، فلا بد من كلمة تشرف بها المجلة عن الهجرة، إن الهجرة إلى دار الهجرة ليست هجرا لمكة، وإنما عطاء من الله أمر رسوله أن يهاجر إلى المدينة.. الأرض ذات النخل.. كأنما الهجرة قد استهدفت في سبيل النصر غايتين، غاية أن تترك قريشاً تخدع نفسها بأنها استراحت من محمد، وتعطي للرسول العظيم موطن المأوى للنصر في دار أهلها يحبون من هاجر إليها.. يجد المهاجر عند أخيه الأنصاري أخوة الإيمان عند الذين تبوأوا الدار والإيمان.. «الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة».

استنامت قريش.. يسلم الرسول ﷺ، وأصحابه من أذاها واستقام الأنصار كل يوم يزدادون إيماناً.. كل يوم يزيد إيمانهم، واستفاقت القبائل تنتظر وقد رأت موقف قريش ولترى موقف الرسول ﷺ في المدينة - فأحسبني لا أقول خطأ إذا ما قلت إن الهجرة للمدينة توقيفية كانت بوحى، وأن الهجرة هذه كانت توفيقية حالها التوفيق ذلك أن الله ما أوصى لرسوله بالهجرة إلى هذا المواطن إلا وقد قضت إرادته عز شأنه أن يجعل من قدرته قوة في هذا المواطن.. حصناً يعز الوصول إلى داخله لجيش غازٍ من جنوب وشرق وغرب.

فالخروج إلى أحد.. والخروج إلى مواجهة جيش الشام في الحرة..
كأن ترك الحرة السور إلى الفضاء - هذا الموقع للمدينة استراتيجية يضاف
إليه أن المدينة الواحة ذات النخل محوطة بكل القبائل العربية.. في غربها
غفار وأسلم وحتى جهينة في شمالها.. جهينة وبعض من غطفان في شرقها
غطفان بعبسها وذبيانها من الجنوب بخداعة ومن التف حولها.. كأنما كل
هذه من مشارف الحجاز إلى وديان تهامة، ومن مشارف الحجاز إلى عالية
نجد، ومن مشارف الحجاز إلى الأعالي من ساق القراب (السراة).. كلها
حول المدينة.. لا تغزوها لأنها مستودع النماء لهم. فأصبح الإسلام
يغزوهم بالدعوة.. بالسرايا.. بالغزوات المنتصرة.

هكذا.. كان التوفيق حين حل رسول الله ﷺ في هذا الموقع
الحصين.. المحوط بالقبائل العربية، إن الهجرة ما تمت إلا بعد التوثيق في
بيعتي العقبة وكان التمام لبيعة العقبة تعديلاً شفهيّاً من سعد بن معاذ يوم
بدر.. أوجب به الجهاد عيناً على الأنصار.. فعهد العقبة الأول أن يدافع
عن رسول الله ﷺ إذا حل بينهم، أما خارج المدينة فقد حدده سعد بن
معاذ (أتعينا يا رسول الله.. لو خضت البحر لخضناه معك.. ولو اقتحمت
النار لاقتحمنها معك ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك).

بهذه الكلمة قالها سعد بن معاذ أصبح التعديل لعهد العقبة جعل الجهاد
على الأنصار فرض عين بينما هو على غيرهم فرض كفاية..

ذلك توفيق الله (إن هو إلا وحي يوحى) ولكن.. وقد نصر الله رسوله
في بدر وبفتح مكة قال رسول الله ﷺ لصفوان بن أمية «لا هجرة بعد
الفتح» حين أسلم صفوان يوم الجعرانة ورجع الرسول ﷺ إلى المدينة..
هاجر صفوان كأنما هو قد عرف أن تمام الإسلام له بالهجرة.. يريد أن

يستبق إلى أجر سبقه إليه المهاجرون . فلما سلم على رسول الله ﷺ ، قال له الرسول ﷺ بكل العطف والرحمة . . بكل الإجلال للسيد المطعم صفوان بن أمية «على من نزلت يا صفوان؟» .

قال على العباس بن عبد المطلب ، مهاجر نزل عند مهاجر فقال له الرسول ﷺ «عد إلى مكة . . فلا هجرة بعد الفتح» ، إني أُلِمَح أن نزول المهاجر على المهاجر كان خلافاً لتعاليم المهاجرين ينزلون على إخوانهم الأنصار فلعلّي لا أسير إلى خطأ أن أعتقد وأستغفر له من أن رسول الله ﷺ أراد ذلك . . فلا ينزل مهاجر على مهاجر ، والفقهاء الصحيح أن في ذلك الإعظام لمكة . . أما وقد فتحت وأسلم كل أهلها فلا هجرة منها .
والله ولي التوفيق . .

إحصاء . . و ثناء

قدمت مجلة الدارة جهد السنوات الثلاث السابقة في اثني عشر عدداً .
فحمداً لله على توفيقه ثم شكراً وعرفاناً للذين أمدوا المجلة بالعون ثناء .
ومقالاً . . مادة . . وطباعة . فالثناء حافز ، والمقال ذخراً ، والمادة المال
إنجاز ، والمطابع إخراج على وجه حسن .

وأخص بالشكر العميق والتقدير الصادق صاحب المعالي وزير التعليم
العالي ورئيس مجلس إدارة الدارة ، والعاملين معي في المجلة عبد الله
الماجد ومحمد الخياط ، والأساتذة المتعاونين معنا في الجامعات أو
المكتبات ، والباحثين في الدارة . .

أحيي هؤلاء جميعاً وأشد على أيديهم لبذل جهد أقوى وعطاء أسخى .
ويطيب لي أن أقدم العدد الأول من مجلة الدارة في عامها الرابع تاركاً
تقدير ما فيه لكل قارئ وباحث ومحب للتاريخ ، وعاشق لهذا البلد . .
الكيان الكبير ، وعارف بالقيم التي فطر الله عليها الملك عبد العزيز آل
سعود تغمده الله برحمته ، فوحد هذه الأرض تراباً وإنساناً وأخلاقاً ومبادئ
في ظل عقيدة التوحيد .

«إن كلمة التوحيد . . وتوحيد الكلمة دعامتان لهذا الإسلام» . وإن
المجلة قد لا تعطي الكثير من الموضوعات ولكنها تهتم بالقليل المفيد ،

فالعبرة بالكيف لا بالكم، ولا ندعي أننا نوفي الأساتذة المتعاونين معنا حقوقهم كاملة، فعند الله الجزاء الأوفى، وإذا كانت المجلة حقلاً لجهودهم المثمرة فهي في نفس الوقت مرآة تجلت فيها صور العلماء والأساتذة. زاهية لامعة ازدادت بها محبة القراء لهم وثقتهم فيهم بريادتهم لقافلة العلم، وجدارتهم بالتكريم والشكر..

أشبعونا عطاء منكم ولن نستطيع إشباعكم بعطاء منا.. فنحن عاجزون عن إيفائكم ما تستحقون من الثناء والأجر فالمال مهما كان سخياً لا يصلح ثمناً للعلم.

وأسأل الله أن يمدنا بتوفيقه وأن يزيدنا حبا وتعاوناً وإخلاصاً ومودة وصلة قوية أساسها الإيمان بالله وهدفها خدمة هذه المملكة.. أم الإسلام والتاريخ واللغة والإنسان العربي. ففي إحياء تراثها والحفاظ على ميراثها ونشر نفائسها والعناية بما يزيدنها تعريفاً.. ففي كل هذا تعريف بأنفسنا وإثبات لوجودنا.

وليس من الفخر أن نشير إلى الأساتذة والمؤسسات العلمية التي أثنت على جهودنا، ولكن هذا حقها، وهذا واجبنا وهم:

- رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة.
- معهد البحوث والدراسات العربية - جامعة الدول العربية.
- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.
- الرئاسة العامة لرعاية الشباب.
- مركز دراسات الشرق الأوسط - جامعة عين شمس.
- الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي - الرباط.

- مجمع اللغة العربية - القاهرة.
- مركز دراسات الخليج العربي - جامعة الكويت.
- الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب - بغداد.
- المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالوطن العربي - الرباط.
- المكتبة الملكية المغربية - الرباط.
- مجلة العربي - الكويت.
- الهيئة العامة للآثار - صنعاء.
- الدكتور عبد الله الركيبي - قسم اللغة العربية بجامعة الجزائر.
- البروفيسور ويليام ساندز - مجلة الشرق الأوسط بواشنطن.
- البروفيسور جون كيرك - جامعة ماساشوستيس.
- البروفيسور هنري فيل - جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية.
- مركز الدراسات الآسيوية - جامعة إلينوي بالولايات المتحدة الأمريكية.
- مركز المعلومات العربي - سان فرانسيسكو.
- مكاتب جامعات ميتشيجان وفرجينيا - بالولايات المتحدة الأمريكية.
- جامعات القاهرة وعين شمس والمنصورة - جمهورية مصر العربية.
- الأستاذ أنور الجندي - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.
- وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه الخير..

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الرقم: ١/١٧/١٨٣٦
التاريخ: ١/٢/١٣٩٨هـ
المشفوعات:

مكتب المدير

الأخ الكريم الأستاذ العلامة/ محمد حسين زيدان المحترم
رئيس تحرير مجلة الدارة
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

اطلعت على ما نشرتم في العدد الرابع من مجلة الدارة في سنتها الثالثة
شهر صفر ١٣٩٨هـ من شكر على ما أثنت به على المجلة، ولئن كان
ذلك غيضاً من فيض مما نشعر به نحو المجلة والقائمين عليها فإنهم أهلهم
ومحلهم. وإن جهودهم وآثارهم ونشاطهم شاهد له.

وأنتهز هذه الفرصة لأعبر لكم عن شكري وتقديري، وأنقل إليكم
تحيات منسوبي الجامعة، ودعوات الجميع بأن يوفق الله المسؤولين في
المجلة ويكمل مساعيهم بالنجاح ويمدهم بعونه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أخوكم

د/عبد الله بن عبد المحسن التركي

مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

عرفان

الحمد لله خلق الإنسان في أحسن تقويم .. صورة وصيرورة ومن أحسن هذا التقويم .. الكلمة هداية وتعبيراً، فالإنسان بالكلمة مقود وقائد، فاللهم اجعلنا من الذين يتبعون من الكلام أحسنه.

وأطرح سؤالاً .. فهل أزعم أنني قد حققت حين أبرزت ما يمتلكني من عشق .. متعني الله به - أحب عقيدتي وأمتي وتاريخ أرضي - لا أزعم أنني قد حققت كل ذلك. لكنني لا أبخس نفسي إن تحدثت بما أنعم الله علي حين أسهمت في إبراز بعض ذلك.

قد يكون كل هذا في بعض ما كتبت، لكن الدارة المجلة قد أعطتني الفرصة لإبراز هذا العشق .. ليس بالكلمة التي أكتب وإنما بالكلمة التي أستكتب .. يكتبها عشاقها من العلماء والباحثين.

فالمجلة الدارة، والدارة المجلة كيان واحد .. أصبحت هذه المجلة الواجهة لها وكانت الدارة الأمان والكنز والرصيد .. ليس باسمها وإنما بنسبتها .. تحمل اسم الرجل العظيم المجمع .. موحد هذه الأرض أعاد لها اعتبارها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يرحمه الله.

فقد قلنا من قبل إنه في اللحظة التي خرج فيها الإمام عليّ كرم الله وجهه من المدينة إلى الكوفة وما جاء بعد ذلك قد أهدر الاعتبار لهذا

البلد، فبدلاً أن كانت الخلافة بعد النبوة، وإن كان الفتح أصبح عالة ما أكثر ما أساء إليه العائلون حتى رجع إنسان إلى خليط لا يبني حين حرم، وأبي أصيل أبى إلا أن يكون له سلطان - فحين حرم سلطان الخلافة والقيادة.. أصبح سلطان المدد لكل الأرضين العربية التي ملأت بيوتها المدر بأبناء بيوت الشعر.

إن الدارة الأمان ووجهها المشرق المجلة حريصة على تنمية هذا العشق واجبا عليها - شاكراً أن تقوم به غير فاختار لأن كل فخرها هو في تنمية عشقها.. فالدارة الأمان والدارة المجلة لن تبرز إلا بالعاشقين الذين متعهم الله بالموهبة وزادها رسوخاً بالتجربة والمدارسة والممارسة.

فالكلمة عندي هي أن قلت الإسلام التوحيد والعروبة وحدة والحضارة واحدة والمصير واحد - فمن قتل العشق للأممية العربية والأممية الإسلامية أن نجنح إلى انفرادية التاريخ كل شعب يؤرخ لنفسه.. كل شعب يرى أنه صاحب العراقة مع أن العراقة واحدة، والعرق وأعني بذلك.. عرق النسب وعرق السبب فعرق السبب عقيدة ولغة وأرض ومصير، ولعل من حسن الحظ أن تكون قيادة الدارة الأمان والدارة المجلة بيد حفيد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ذلكم رئيس مجلس إدارة الدارة معالي وزير التعليم العالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ..

أحسبني بعد ذلك قد أرحت وجداني حين أشغلت بهذا العشق أو حين هو شاغلني بهذا العشق.

أحمد الله بذكر الذاكرين وشكر الشاكرين، فهو حسبي ونعم الوكيل.

رَجاء . . وَشكر . .

وتعودت المجلة أن أبدأ فاتحتها بكلمة ليس الغرض منها أن تكون دليلاً لما نشر، وإنما لأن التقليد يقضي بذلك، فأولى البشائر استجابة الأساتذة الجامعيين من أبنائنا يكتبون البحوث ونرحب كل الترحيب بنشرها . .

ففي هذا العدد بالذات حشد من هذه الكفاءات من أبناء هذا البلد ليثبتوا كجامعيين وأهل اختصاص أنهم قد وطنوا أنفسهم على البحث وقد ارتاحت أنفسهم إلى الثقة بهذه المجلة، فهي بهم ولهم . . وعلى صورة أخرى لا نبرئ أنفسنا من الأخطاء ولعلنا أكثر احتفالاً بنشر التصويب .

فالرجاء من كل قارئ وجد خطأ أن يبصرنا به ننشره فآخرين غير آخرين . . أي شيء من الاحتفاء . . فالحفاوة بالصواب أجدى وأكثر نفعاً للمجلة وللقارئ وللکاتب .

أرجو أن يحتفل الأستاذ الباحث صاحب الاختصاص لهذه الرغبة يستجيب لها . . فأبناء اليوم هم المستقبل وما أحراهم أن يشدوا عزمهم في الحاضر لبناء المستقبل فالمجلة أصبح لها من السمعة في الأوساط الأكاديمية ما يشجع على استمراريتها، أذكر ذلك شاكراً لا فخرنا وقد يكون من بعض الفخر حين يذكر في معنى التحدث بنعمة الله، أعينونا بما لديكم فالعون لنا مظهر أما المخبر فأی عون منكم هو عون لكم كمساهمة في بناء الثقافة .

المجلة حفيظة على التراث

ولعلّي أرسل الشكر لكل الذين أعطوا المجلة فرصة النجاح فبهذا العدد تختتم المجلة عامها الرابع - وإن نجاح المجلة (الدارة) لإسهام في نشر الثقافة المتخصصة تعزز بهذا الثراء لديها من مقالات العلماء وبحوث المتخصصين كأنما هم وقد تفضلوا بما يكتبون - قد جنبوا هذه المجلة أن تتسول المقال - فهو عطاء منهم تأخذه المجلة كأنما كلنا في ميدان واحد نعطي المسؤولية حقها، كواجب علينا، ولا أعني بهذا الضمير الجامع جهاز المجلة، أو جهاز الدارة الأمانة وإنما هو الشئ مزينا بالشكر لهؤلاء العلماء - فكم من رسالة نتلقاها مصحوبة بمقال - أو طالبة إرسال المجلة إليها من الجامعات والمراكز الأكاديمية ومعاهد البحوث والدراسات المتخصصة.

والمجلة في هذا العدد ترحب حين تتوج ذاتها بالكلمة المجنحة الهادفة - تعلن المبدأ والحفاظ والالتزام - هذه الكلمة المجنحة الهادفة نقتطفها من حديث صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء - أدلى به سموه لجريدة الجزيرة (الخميس ٢١ محرم ١٣٩٩هـ) وهي:

(نرفض أن يدخل نور الكهرباء إلى البيت مقابل أن يخرج من النفس نور العقيدة والإيمان، ونرفض أن تروي المياه ظمأ الكبد العطشى مقابل أن

يخرج منها ري التراث والقيم الأخلاقية - فتلك في تقديرنا ليست تقدماً حضارياً، وإنما هي انهيار حضاري).

فإنها كما كتبنا من قبل وعن الحديث كله ميثاق الأمناء وأمن الأوفياء، فسموّه ومن وحي المسؤولية مطمئن كل الاطمئنان إلى ترسيخ الإيمان وإقصاء كل مذهب دخيل - يجيء الاطمئنان لسموّه من هذا الحديث (لا يجتمع في هذه الجزيرة دينان) فالبشرى له بهذين الحديثين أيضاً، ويقول مأثور - ففي الحديث الصحيح: (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها) و(إن الإيمان ليعقل من الحجاز معاقل الأروية من رؤوس الجبال) أما القول المأثور، فقد صدقه الواقع في الفتوحات وفي الموجات المعربة وهو قبائل نجد (صغار الإسلام).

على هذه المبادئ تسير المجلة - حفيظة على التراث عزيزة بالميراث.
والله ولي التوفيق..

عود على بدء ..

لا أريدها إلا كلمة شاكرة.. أتوجه بالشكر إلى الله على توفيقه.. ثم هو الشكر لكل الذين ساهموا في هذا النجاح للمجلة.. إن هذا هو العدد الأول من السنة الخامسة - أضعه بين يدي القارئ سواء من أصحاب التخصص، أو بين الذين يحتويهم الاطلاع على مجلة متخصصة - وكم أود أن أجد بين القارئ ملاحظة على ما ينشر.. أكثر من حبي على تلقي الثناء.

فالتسديد هو فيما يلاحظه القارئ كبير عندي كالتسديد بالثناء كلاهما يشد الأزر فالحب للناس أحسبه مقايضة استحلت بها حب القارئ ليس لشخص وإنما للثقافة.. للتراث.. للمستقبل.. فليس بالكثير على هذا البلد.. كان أول الفجر من تاريخه اقرأ.. أن تكون بين يدي أبنائه الصحيفة والمجلة وأن يقتني الكتاب فأمتمكم التي كانت أمية أصبحت بالإسلام الأمة القارئة.. فلفظ قرأتها مشتق من القراءة.. لا كما ادعى بعضهم أنها لفظة حبشية، وتاريخكم حفيبل بالذين قرأوا الحضارات وترجموها ومثلوها.. فأخرجوا الأنموذج الحضاري منها.. حتى أصبحت أمة الإسلام باللسان العربي باعثة الحضارة الوسيط.. فحضارتكم.. حضارة الأمة الوسط هي التي جمعت القديم فصنعت للعنلنا كلها الحضارة الحديثة. فلولا الصفر

والمعادلات الجبرية لما كانت الفيزياء والكيمياء ، ولما كان الصعود إلى الفضاء ..

هكذا أنتم ، وهكذا نسير بهذه المجلة ولعلّها إن امتد لها عمر أن تتطور إلى جامعة ثقافية علمية .
والله ولي التوفيق ..

المؤتمر الجغرافي

جغرفونا كل يوم هكذا.. هذا مطلب إنساني سار به الإنسان من فجر التاريخ ويسير به إلى دهر التاريخ..

لماذا؟؟.. لأن الجغرافيا كعلم.. كمعرفة.. كثقافة سارت مع الإنسان حين بدأ يعرف ما حوله، ما هو فيه - ما هو له.. ما هو عليه..

فمعرفة الغابة والطريق الموصل إلى الكوخ والنهر والنهير والوادي والشجرة والإنبات وعوارض الطبيعة كلها كانت من معرفة الإنسان تعرف عليها حتى إذا عرفها شق طريق الحضارة فهذه المعرفة أعني بها الجغرفة يسميها العرب تقويم البلدان ولا أتحاشى أن أسميها من مقومات الإنسان.

واحتفال المجلة «الدارة» بأن تحتضن بحوث المؤتمر التي أعدها علماء الجغرافيا فزودونا بها في أول مؤتمر دعت إليه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

تحتفل بها المجلة - تواكب مسيرة الاحتفال بهذا العلم بلقاء مبارك كمؤتمر عقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وهذا الاحتفال يعطينا صورة عناية الدولة بهذه المؤتمرات والندوات لا كمظهر من مظاهر التفوق إنما لتصنع به التفوق فقد كان هذا العلم قبل سنوات طويلة أيام كنا نعيش في فرقة إمارات. وإقطاعات، وقرى تباعد الاتصال بها كأنما الكلمة

الكريمة في الآية الكريمة ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ (سبأ: ١٨) قد تباعدنا عنها فحين تم لهذا الكيان الكبير أن يكون الوحدة تحت راية التوحيد، وتكونت الدولة حذقت كل ما تصنع.

أن تبقى نوازع القرية وفواصل القبيلة، فإذا بنا نسمي الأشياء بمسمياتها فلا ننفر من كلمة الجغرافيا حتى إني بدأت اشتق منها جغرفوا ونجغرف والجغرفة بدل أن كنا بهذا النفور نسمي العلم (الجغرافيا) بتقويم البلدان.

هكذا اتضحت معطيات المعنى الكريم للدولة المتفوقة وللجامعة الناهضة وللمجتمع الواعي يحتفل بالخير ويعمل للإصلاح لا يسأل عن المصدر (فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها).

ولا أدري هل أزعج أن علم الجغرافيا كان كبير الخطوة أم هو قليلها حين توزع إلى علوم شتى فالجغرافيا الطبيعية والاقتصادية والسياسية والسكانية والفلكية كان هذا تقسيمها في الأول يضمها كتاب واحد فإذا بنا اليوم نراها باختصاصات شتى في موسوعات شتى.

فالجغرافيا الطبيعية - أصبح منها علم طبقات الأرض (الجيولوجيا) - علم مستقل، والظواهر على سطح الأرض علم مستقل (الجيومورفولوجيا)، ورسم الخرائط علم مستقل (طبوغرافيا)، والاستراتيجية العسكرية علم مستقل تعني به أكاديميات الحرب، والجغرافيا الاقتصادية علم مستقل عن الإنتاج والتوزيع باسم النشاط الاقتصادي، والجغرافيا الزراعية أصبحت علماً مستقلاً، وجغرافيا الصناعة.. علم مستقل، والنظرة إلى السماء (الجغرافيا الفلكية) علم مستقل - فالفلك قد يكون فيما مضى من الحضارة العربية قد بلغ المستوى الأعلى والقرآن الكريم قد علمنا البروج ومسيرة الشمس والليل والنهار والقمر ثم علمنا المصير لهذا كله.. تكوير الشمس - انشقاق السماء

انفطارها.. كدرة النجوم.. اشتعال البحر.. انتشار الجبال كالعهن المنفوش
- كل هذا قد احتواه علم الجغرافيا فإذا هو في ظواهر الفلك علم مستقل.

والأنهار منابعها - مصباتها - مجراها - ومعها الوديان قد تكون داخله
في علم الزراعة.. متداخلة في علم الاقتصاد غير خارجة عن طبقات
الأرض.. فكم هو جميل وحافل هذا العلم.. الجغرافيا..

لقد عرف الإنسان كل ذلك.. فما زاد اليوم إلا التفصيل ووضع كل
قسم مستقلاً على حدة.

كما ينبغي ألا ننسى جغرفة الأماكن والبلدان التي احتفل بها الجغرافي
العربي كياقوت والهمذاني وابن بليهد في صحيح الآثار. إن ياقوت في كتابه
قد أعطانا الكثير والكثير من أسماء المدن وما إليها، والهمذاني في صفة
جزيرة العرب أعطانا الكثير، وابن بليهد كما قلنا أكثر من مرة جغرف
الجزيرة العربية من المعلقة السبع وما إليهم كأنما الشاعر العربي جغرف
أرضاً، فجاء الوعي يصنع موسوعة من هذه الجغرفة الشعرية..

ويعجبني تسمية تأبط شراً الشاعر الجاهلي حين يسمي الشمس (أم
النجوم) أليس هذا العربي الأعرابي كان مجغرفاً!

وعجبية أخرى يستأهل بها المجد الإنساني قبل الأقمار الصناعية.

لقد رسم المجغرف الأول الخرائط التي بين أيدينا فحين صعد الإنسان
إلى الفضاء ورأى الكرة الأرضية بما لديه من وسائل التكنولوجيا لم يغير
هذا الإنسان الذي صعد الفضاء، ولا تلك الآلات أي صورة من هذه
الخرائط التي رسمت قبل صعوده للفضاء.

فما أعطونا من معلومات تبين لنا أن قارة أفريقيا ليست هذه الكتلة،

ولا أمريكا الجنوبية، ولم يعطونا أي فكرة مغايرة لما هي عليه قارة آسيا وأوروبا وأمريكا الشمالية.

فأي مجد لمن رسم الخريطة بالتتبع والاستقراء.

فإذا هي لا تختلف عن رؤية العين بالآلات الدقيقة.. هكذا احتفل بالجغرفة أنشر بعض البحوث عنها في مجلة الدارة في عدد خاص مشاركة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في مسيرتها العلمية، اعترافاً بفضلها ومعوناتها.

ولا تفوتني الكلمة الحامدة لما نجده الآن من هذه الخرائط العربية، فقد تعلمنا الجغرافيا على خرائط باللغة التركية.. نجد فيها.. كلمة وادي الحمض باسم وادي الحمد، ونجد فيها كما هو مشهور على الألسنة الآن الربع الخالي أي جزء من أربعة بينما هي الرُّبْع الخالي أي المكان الخالي. والحمد لله.. أسأله التوفيق..

اعتذار

ولم يكن انتكاسا تأخير المجلة، وإنما هي أسباب من نواح عدة لا داعي للاعتذار منها أو الألم.. فالمسؤولية لتكون بين يدي القارئ في وقتها قد حددها القارئ نفسه.. يريد أن تكون بين يديه، لهذا توالى على المجلة الأسئلة والاستفسارات وكلها تعبر عن حرص واهتمام.. تسألنا عن التأخير كأنما القارئ بهذه المواكبة يرسل سؤالاً تلو سؤال، قد وضع نفسه مسؤولاً عنها.. أكثر من جهاز المجلة، وتلك فرصة نأخذها حظوة للمجلة لدى قارئها - فلو انصرف القارئ عن السؤال.. لجاء هذا الانصراف قوة من الأسباب التي أخرتها، ولكن جاء بالقوة التي أظهرتها.

وأحسبني بهذا كله في موقف الاعتذار (ومن نوقش الحساب عذب). أرجو من القارئ الكريم ألا يكون قارئاً فحسب لأنني أدعوه أن يكون الكاتب والناقد والموجه - فالتلاحم بين المجلة والقارئ يوجب علينا جميعاً أن نكون على هذا المستوى.

وأسأل الله التوفيق..

عام . . وعام

بصدور هذا العدد تختتم مجلة الدارة عامها الخامس لتبدأ بعون الله وفضله اعتباراً من العدد القادم العام السادس من عمرها فتية نشيطة كالعهد بها، وسوف تظل مجلة الدارة بطابعها الأكاديمي وتطلعاتها العلمية ترجمة أمينة لكل جهود الباحثين والمتخصصين من رجالات الفكر والأدب والتراث .

وبهذه المناسبة نجدد عهدنا بباحثينا ومتخصصينا ليواكبوا تزويدنا بأحدث إنتاجهم وما قدموه ويقدمونه خدمة للعلم والفكر فهي بهم ولهم كما أعلن احتفالي بالنقد والآراء البناءة من القراء الأفاضل تعبيراً عن حبهم للمجلة وحرصهم عليها .

وأسأل الله التوفيق .

الدائرة في عامها السادس

وعلى بركة الله تبدأ مجلة الدائرة عامها السادس لتؤكد من جديد نهجها التخصصي الذي دأبت عليه منذ صدورها في ربيع الأول عام ١٣٩٥هـ، والموافق مارس.

فقد أمكنها بفضل الله وعونه أن تصدر عشرين عدداً من بينها أربعة أعداد خاصة واكبت بها مناسبات علمية وتاريخية تهتم العرب والمسلمين وحين تبدأ عامها السادس يسرها كل السرور أن توضح لقرائها وعشاقها من المتخصصين أنها بصدد إصدار عددين خاصين الأول عن «الأهمية التاريخية للبحر الأحمر» وسيكون هذا العدد في هذا الوقت بالذات إضافة علمية جديدة لمكتبتنا العربية، أما العدد الثاني فسيكون عن «العمارة الإسلامية» بالتعاون مع ندوة جامعة الملك فيصل عن العمارة الإسلامية وسوف يكون التركيز في هذا العدد على العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية.

وأرجو أن تكون هذه المقدمة دعوة للأساتذة والباحثين المتخصصين للمساهمة المستمرة في دعم مجلتهم «الدائرة» شاكرين للجميع عونهم وتأييدهم والله الموفق.

إن البحر الأحمر قد أصبح أخطر مواضع الصراع حين جلب بعض المالكين لسواحله القوى الخارجية تتخذ من سواحله مأمناً لأساطيلها كأنما

هو الخطر من هذه الأساطيل قد جلبوه إلى أنفسهم وإلى جيرانهم، وبعض الخير من الشر ينبثق، فلعلّ من ذلك أن يعرف العرب هذا الخطر فيعدوا أنفسهم بقوة تدفع عنهم الخطر (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة).

فإن كان بعض القوة رباط الخيل فإن كل القوة للبحر الأحمر رباط الأساطيل، وها أنا حين أكتب هذه المقدمة أسمع البشائر بأسطول سعودي تفتتح له قاعدة الملك عبد العزيز بالجبيل وأرجو أن يكون أسطولنا قوة تضاف إلى قوة أخرى للأساطيل العربية كلها تتعاون في حدود التضامن لا في مجازفة فرض الإمبراطوريات فإن الإمبراطورية العربية أصبحت غير ذات موضوع، وإنما هو التعاون والتضامن. ولعلّي أذكر كم كيف نهج صلاح الدين الأيوبي يصنع أسطولا في البحر الأحمر حين علم بأن الأمير الصليبي (أرنولد) الذي يسميه تاريخنا أرناط قد هدد بأنه سيعزو الحرمين فأعد صلاح الدين السفن وأقسم أن يقتل أرناط بيده، وقد أجاب الله دعوته حين أقسم فإذا الصليبي أسير يقتله الكردي الكركوكي الدمشقي المصري صلاح الدين كأنما هذه النشأة له وهذا الانتساب يجعله يمثل أمة الإسلام وأمة العرب.

إن هذا الخطر في البحر الأحمر أن أسعى أحصل على هذه المقالات بحوثاً أعدت في ندوة أقيمت في مصر وبحوثاً طلبناها، ولولا الإسراع في أن يصدر هذا العدد خاصا عن البحر الأحمر لكلفنا الكثير من العلماء أن يزدوا البحوث بحوثا وإن لم يكن ذلك اليوم فإن غدا لناظره قريب.

وأسأل الله التوفيق..

البحر الأحمر

ولست بصدد أن أكتب بحثاً عن البحر الأحمر فقد أكتفي بهذه البحوث التي نشرت في هذا العدد كتعريف مبسط لمكانته وأهميته فإن تشعبت الأحداث حواليه فقد جعلت له أهمية خاصة مع أنه في كل التاريخ ذو أهمية مما تظهره البحوث المنشورة بعد هذه المقدمة وإنما سأكتب تعريفاً لا تنساق به العاطفة إلى حد لا يعقله عقل، فأصدق التاريخ عقل لا يجور على العاطفة، وعاطفة لا تقصي العقل.

إن البحر الأحمر كان أرضاً برا كأنما هو قد جعل جزيرة العرب أفريقية، بل وعلى الأصح قد جعل من شرق أفريقيا أرضاً عربية. كان برا اتصلت به آسيا بأفريقيا فإذا الانشطار يحدث به هذا الخليج: بحرنا الأحمر، وكأنما برزخ السويس قد كان الإشارة أو العلامة لتلك الصلة فحين كان برزخ السويس لا يعد البحر الأحمر إلا خليجاً عربياً، وحين تم فتح قناة السويس أصبح مضيقاً عربياً، لا يملك أي شبر من سواحله الآسيوية الأفريقية إلا أهله العرب، وإن أخذت الحبشة بعض ساحله، فحين كان خليجاً عربياً لم تكن هناك حدود إقليمية داخل البحر تحدد بالأميال، بل كله كان إقليمياً عربياً، ولكن قناة السويس جعلته بحراً ترتفق به التجارة العالمية، فهو ممر للتجارة وليس ملكاً لأحد غير أهله.

دعم المجلة

و حين يتحدث المسؤول عن أي عمل يشكر نعمة الله عليه ينبغي ألا تساء به الظنون فلا يوصف بالتنفخ والفخار، ولا تشير إليه الأصابع بأنه حين تحدث عن الشكر إنما أراد أن يستجدي ثناء والعمل الذي أنا مسؤول عنه هو كوني رئيساً لتحرير مجلة الدارة فلله الشكر على توفيقه فقد كانت الظنون ألا تنجح وأساءت ظنون أخرى تعجب كيف نجحت بقلّة من العاملين بها كانت كثيرة بكثرة العاملين لها فجهاز أمانة الدارة حرص وتفضل معالي رئيس مجلس الإدارة الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ بدعم المجلة بأن جعل جهاز الأمانة كلها جهازاً للمجلة فالحرص مني على ذلك والدعم منه أعطى القلّة الكثيرة فتخطت بذلك العقابيل وارتفعت عن الإرجاف بالأقاويل ولا أراني اليوم إلا مطمئناً إلى أن تكون أمانة الدارة والمجلة ليست جزءاً مستقلاً عن جزء وإنما كلها مؤسسة واحدة تنتظم أعمالها بمجلس الإدارة ورئيس المجلس والأمين العام للدارة فقد كان كما عرفته وكما هو الآن جديراً بأن يعطي الأمانة والمجلة الكرامة التي تليق به من أسرة وارثة لعقيدة السلف وارفة بما أعطت فلا أخاله بحكم الوراثة لأسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب شيخ الإسلام إلا أن يكون صاحب يد لا يأخذ بها إلا ما يكرمه، ولا يعطي بها إلا ما يحفظ الكرامة لأمين يدير مؤسسة اسمها يحمل اسم أشرف الرجال بعصرنا الحديث وأقوى الرجال

وأعظم الرجال الملك البطل عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود تغمده الله
برحمته .

هذا الأمين العام لدارة الملك عبد العزيز هو الأخ الصديق الشيخ عبد
الملك بن عبد العزيز آل الشيخ أرتفع به لأنه لا ينخفض بإهدار القيمة
والقيم .

والله ولي التوفيق . .

الدائرة بين كتابها وقرائها

والكلمة للقارئ تحمل معنى الاحترام له إعراباً عن الشكر للذين يقرأون المجلة كأنما هم يكتبون الحماسة لها وللكتابين فيها فالمجلة إذا لم تجد قارئاً لن تجد كاتباً فـالقارئ يحمل الصفتين . . صفة المستفيد منها وصفة المفيد لها . صفة الآخذ ومانح العطاء وليس ذلك بالجهد القليل ومن الطرفاة بمكان أن تكون حاجة المجلة للقارئ مساوية لحاجتها إلى الكاتب فمن ناحية أخرى يتمتع الكاتب بالصفتين أيضاً صفة أنه كاتبها وأنه قارئها فأى شكر لقارئ ما هو إلا الشكر للكاتب .

فأرجو من الكتّابين سواء الذين واصلوا المجلة بمقالاتهم أو الذين لم يتصلوا بها بعد سواء من أساتذة الجامعات لدينا داخل المملكة عرباً سعوديين أو عرباً أخوة لنا من كل قطر عربي فالمجلة وإن كانت عربية سعودية فإنها العربية للعروبة كلها والإسلامية للمسلمين كلهم ولدى المجلة كـفرع في مؤسسة دار الملك عبد العزيز لديها المترجمون فليس لدى المجلة ما يمنع أن نتقبل مقالا بلغة غير عربية من إخواننا المسلمين ومن الآخرين المستعربين في الأكاديميات ومن أي مكان فالأهمية هي من تراث هذا البلد الأم للعروبة والإسلام لا نشذ عنها . فالدعوة إلى التضامن من أول الخطوات في تحقيقها أن تكون المجالات والصحف والجامعات حافلة بهذا

المبدأ لا ترفض ما يصلح لتقبل كل كلمة أو سعي يتحقق به الهدف فالمجلات والصحف والجامعات وكل وسائل الإعلام والندوات والمؤتمرات كلها مجامع يجتمع فيها المثقفون مباشرة في مواجهة أو غير مباشرة فيما يتبادلون من رسائل يكتبونها ليقرأوها.

إن هذه المجلة بهذا العدد قد أكملت السنة السادسة لتبدأ بعون الله سنتها السابعة مطمئنة لأن تحقق في مسيرتها ما يصبو إليه القائمون عليها وفي مقدمتهم معالي رئيس مجلس الإدارة فضيلة الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي، وأمين عام الدارة، الشيخ عبد الملك بن عبد الله آل الشيخ.

فما يجيء منهما من عون للمجلة إنما هو الالتزام والإلزام لا بحكم الهيمنة كعمل إداري وتوجيهي وإنما هو منهما أداء ما توجبه الثقة وما تحتمه الوراثة وما يتمتع به كل من يصون التراث.

إن المجلة تتقدم بهذا الشكر بعد حمد الله على توفيقه والله الهادي إلى سواء السبيل.

الدَّارة والتُّراث

ولعلَّ المجلة تشعر بغبطة سواء من الذين كانوا لها كاتبين فيها أو من الذين كانوا بها قارئين لها.

إنها بهذا تدعو كاتبها وقارئها أن يدخرها علامة من علامات التراث لأنه إن لم يبن لبنات في هذا التراث فقد يجيء من يصنع بها بعض ما يتحلّى به قسم من التراث.

لأن المجلة تعتقد صادقة أن التراث هو التاريخ وما بقي من أعمال التاريخ إنما هو مصنوع من التراث ليكون أجمل ما يصنعه الرجال هو أن يكون الميراث عنهم تراثاً لكن المؤسف هو أن الانفرادية بالتاريخ استغلوها لتكون هي السبب في هذه الانفرادية بينما هي حتم الأصالة في الأهمية فالأمة العربية واحدة تراثنا واحد صناع تاريخها إن ذكروا آحاداً فإنما البطولة فيهم هي المكوّنة للوحدة في قيمة البطل صنع لأمته جزءاً من التاريخ فمن هنا قد تقتحم المجلة بعض العراقيل لتجعل من التراث زادا للمثقف ولتجعل من المثقف منحة التزود والزيادة لهذا التراث قيمة يصنعها وتقيماً يصنعه. ولعلّها وإن احتفلت برأي ناقد أو مخطئ فإنها تفرح بالنقد وتحتفل بالخطأ يهديها إلى صواب أما بعض ما قد يقال من أنها تاريخية علمية تراثية أكثر فإن ذلك هدفها وهذا ما خطط لها فنسبتها إلى دارة أكاديمية تحتفل بالتراث

والتاريخ تحتم عليها أن تكون على هذا الوضع ولهذه الموضوعات أما
التطرية وما إلى ذلك فليطلب في مجلات أخرى. ولو أن بعض الأكاديميين
من أساتذة الجامعات ومن إليهم أبدى لنا ملاحظة لاحتفلنا بها ذلك لأنها
بهم ولهم ومنهم فالحمد لله على توفيقه وعلى الله قصد السبيل.

عَب

الحمد لله على توفيقه، ولست بصدد أن أذكر شيئاً عن المجلة، ولكنني بصدد أن أذكر بها أهلها الكتاب والباحثين من أبناء ترابها، فهل أصرخ في آذانهم لأقول:

إذا عقتك الأدنى الذي أنت حزبه فواعجبا أن سالمك الأبعاد

أو أصرخ مرة ثانية فأقول:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

فأنا لا أصرخ من عقوق يوجه إلي، وإنما أصرخ من بعض الظلم قد يكون وصل إلى أحدهم كنت الشريك فيه.

قالوا نتصارع هل هو قلة أجر المقال: قولوا لنا لنتصرف مع أني أجلكم عن كل ذلك، أم هو تأخر النشر فهل ترون إذا ما تعهدتم أن ترسلوا المقالات والبحوث أن نكثر من أعداد المجلة فبدلاً من أن تكون أربعة تكون ستة. قولوا لنا لنتصرف.

هذا عتاب محمود عواقبه الحب باعته، والفخر بكم دافعه والتقدير لكم وازعه والرجاء فيكم هو النافع لنا بل والنافع لكم فلا خير فينا إذا لم يكن كل واحد منا المرجى المأمول فيه.

لدينا كثير من المقالات لغيركم ولكن اليوم لم أجد إلا القليل مما كتبته
أقلامكم. دعوة ملحة وأسأل الله أن يتم عليكم نعمة التوفيق، وأن أعيش
فترة يشرفني أن كل عدد من مجلة الدارة ملآن ملآن بأقلامكم، وتحية لكل
ذرة من ترابكم.

الاحتفال بمرور خمسة وعشرين عاماً على إنشاء جامعة الملك سعود

كلمة صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز ..

أحمد الله سبحانه وتعالى على نعمه التي لا تحصى ومنها نعمة العلم والمعرفة، وأصلي وأسلم على نبيه الكريم، الذي لا ينطق عن الهوى، القائل «أدبني ربي فأحسن تأديبي» والموصوف في محكم التنزيل بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

أما بعد، فإنها لنعمة كبرى أن نرى هذا المستوى الرفيع الذي وصلت إليه جامعة الرياض التي هي أولى جامعاتنا ومنبع فخرنا واعتزازنا لأنها تمثل التطور الحقيقي لمملكتنا. فلقد بدأت بعدد ضئيل من الدارسين بلغ واحداً وعشرين طالبا اجتمعوا في كلية واحدة هي كلية الآداب، ثم أصبحت الجامعة الآن مكتظة بما يزيد على سبعة عشر ألف طالب وطالبة في أربع عشرة كلية ومعهدا. وإنه لمما يبعث في النفس الغبطة والثقة أن نرى بلادنا قد ضمت سبع جامعات، تسير كلها في خطى حثيثة نحو الكمال والرفعة، حتى صارت مملكتنا قبلة للعلم والعلماء، وما ذلك إلا بفضل الله ثم بفضل اتباعنا لما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

وإنه لمن دواعي الغبطة والسرور أن نجد أبناء هذه الجامعة يتقلدون

المناصب ويضطلعون بأعباء التنمية في أوجه النشاط والمجالات كافة، آخذين على عواتقهم، مع إخوانهم أبناء هذا الوطن، مهام تحقيق أهدافنا في رفاهية المواطن، ورفعة شأن الوطن، وتقوية أركانه على أسس من الإيمان والعلم والعمل المخلص.

ولقد لمسنا عن قرب مدى ما وصلت إليه الجامعة في مجال البحث العلمي، والمشاركة المتطورة في المجالات العلمية في الداخل والخارج، بما يتمشى مع النهضة التي ننشدها لوطننا الحبيب، وبما يوصلنا في تبصر وحكمة إلى الهدف المنشود وهو رفاهية شعبنا ورفع مستواه إلى مصاف الأمم المتقدمة.

إن احتفالنا اليوم، هو احتفال بمسيرة العلم المشرقة في دوحة من دوحات المعرفة، تلك المسيرة التي وضع بذرتها مؤسس هذه المملكة والدنا المغفور له جلالة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه. فتحية للعاملين في هذه الجامعة، وتهنئة على ما قدموه وما تفخر به من عطائهم الطيب ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥).

وفق الله الجميع في مسيرتهم على طريق الخير والنور.

خالد بن عبد العزيز آل سعود

كلمة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزیز ولي العهد ونائب رئیس مجلس الوزراء

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

لقد حقق الله الآمال بانتشار العلم على أرفع مستوى، فرأينا الجامعات
تنتشر في ربوع بلادنا، وإنه لمن نعم الله الكبرى التي أنعم بها علينا أن
أصبحنا اليوم نرى ما وصل إليه صرح من صروح العلم ومنارة من مناراته
في بلادنا العزيزة، ونعني به جامعة الرياض، التي كانت أول جامعة أمدتنا
بالشباب الواثق بنفسه، المؤمن بربه ثم بوطنه وأمته، المتسلح بسلاح العلم
والإيمان.

إن اغتباطي بهذه الخطوات الواسعة التي حققناها في مجال العلم إنما
هو نابع من شعوري بأنني أول من تشرف بتولي أول وزارة أنشئت للمعارف
في عام ١٣٧٤هـ، فكان من أهم أهدافي آنذاك إنشاء جامعة تكون قبلة
للعلوم بأنواعها المختلفة، وركيزة من ركائز البحث العلمي قائمة على أسس
من العقيدة الصحيحة، مستجيبة لطموح أبناء هذا البلد، وقد تحقق الهدف
ولله الحمد على أفضل مما كنا نؤمل، وما ذلك إلا بفضل الله ثم بفضل
الرجال الذين نذروا أنفسهم لتحقيق هذا الهدف، وإن زيادة عدد المتخرجين

في كل عام لهو خير دليل على أن النهضة التعليمية تسير بخطى واسعة لتحقيق المزيد من الرخاء لهذا البلد، وهو رخاء قائم على أسس من التخطيط العلمي السليم، وقد بدا واضحاً في تنوع التخصصات حسب الحاجة إليها في خططنا لتطوير بلادنا وتنميتها.

وإنه مما يدعو إلى الاعتزاز والفخر أن أصبح لدينا اليوم عدد وفير من أعضاء هيئة التدريس السعوديين، يكونون لبلادهم الحب والتقدير، ويبادلونها العطاء بقدر ما بذلت لهم وأعطتهم بسخاء فكانوا أوفياء مخلصين في اجتهادهم، ليصلوا بجامعاتهم إلى المستوى الذي ينافس أرقى الجامعات في العالم.

وإنني لأرجو من الله عز وجل أن نحتفل في السنوات القادمة بجامعاتنا الأخرى، وقد جنينا منها أطيب الثمار، وأعطت عطاء يشد أزر مسيرتنا ويدفع بنا إلى الأمام خطوات نكون فيها القدوة الحسنة في كل مضمار، تحت قيادة وتوجيه مليكنا المفدى جلالة الملك خالد بن عبد العزيز حفظه الله. وهنيئاً لجامعة الرياض مسؤولين، وأعضاء هيئة تدريس، وطلاباً بما حققوه لهذا الوطن الغالي. زادهم الله تقدماً ونجاحاً. وبالله التوفيق.

فهد بن عبد العزيز آل سعود

تعليق رئيس التحرير

واستقام التاريخ فلا ثغرات ولا فجوات فحين أعلن وزير التعليم العالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ أمر الملك خالد يعيد إلى جامعة الرياض اسمها الأول الذي أطلق عليها يوم أنشئت (جامعة الملك سعود).

ولم يكن ذلك تكلفاً ولا انقيادا غوغائياً وإنما كان كل فرد قد امتلاً وجدانه ليس بالوفاء فحسب ولا باللفتة الحانية فقط. وإنما كان ذلك قراراً يضع الأمر في نصابه يعلن أن الدولة تريد أن يستقيم التاريخ وأن يتوحد الجمع في الأسرة الواحدة الكريمة كأنما القرار صدر به هذا الأمر دعوة لأن تكون في هذا الكيان الكبير مطلباً قومياً ودعامة دينية وترسيخاً تاريخياً.

فالملك سعود يرحمه الله ابن هذه الأسرة المالكة. كان هو الرياض وكانت الرياض هو. كما هي نوازع هذه الأسرة الملكية فالكيان الكبير كله هي وما هي إلا الحفيظة على قيم هذا الكيان الكبير.

إن الملك سعود كان حريصاً على أن تكبر الرياض بالعمران فإذا هو يجد من كل من حوله. ومن كل من معه. العون والرغبة في أن يتوج عمران الرياض بأول جامعة تنشأ في الرياض وكان لزاماً أن يطلق اسم جلالته عليها. صرخة الحق في أن يكون للجامعة اسم تعرف به كما أن تأسيس جامعة الإمام محمد بن سعود صاحب السيف في نصر الدعوة.

صرخة حق تعطي لجد هذه الأسرة حقه في أن يذكر اسمه على مدى التاريخ .

لقد كان الملك سعود شديد الرغبة في أن يتم عمران الرياض فكانت الحلية على هذا البناء - الجامعة .

وجاء الدور العظيم للملك فيصل فإذا الجامعات تترى واحدة بعد الأخرى يدعم الجامعة الإسلامية في المدينة، يؤسس جامعة الإمام محمد ابن سعود، يؤسس جامعة البترول والجامعة التي باسمه في الأحساء .

إن الملك فيصل قد وضع الأسس لأن ينشر العلم وكيف صابر فأنشأ مدرسة الثغر والمدرسة الأولى للبنات لقد كان شغوفاً أن تكون جامعة حريصاً على أن تصبح جامعات .

أما الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد فقد كان كثير الاحتفال شديد العناية والرغبة في أن ينشر العلم في كل بقعة من الكيان الكبير فمن حظ هذا البلد أن كان هو الوزير الأول للمعارف فلئن أسس الملك سعود والملك فيصل ما أسسا من الجامعات والمدارس فإن الأمير فهداً قد أعطى كل جهده لأن يرتفع البناء ولأن تنشر المستشفيات فلا تجد بقعة في هذا الكيان الكبير إلا وفيها المدرسة من الألف إلى الياء .

وجاء الملك خالد صادق النية حسن الطوية لم يقل لأي خير (لا) فوضع حجر الأساس للجامعة تعانق الرياض الدرعية دعم الجامعات فإذا هو يبرز كريم خلقه وحبه لمكة أن يؤسس فيها جامعة أم القرى . كل هؤلاء لم ينسوا أن أباهم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن يرحمه الله قد أقام لهم الوحدة النموذج .

توجه

وهذا العدد الرابع الخاتمة للسنة السبعة التي عاشتها المجلة. ولم تكن السنون السبع سنوات عجافاً، ولم تكن في الوقت نفسه سنوات سماناً، فقد كانت بين بين. فالخروج من المصاعب يلزم بالاستعداد إذا ما وافته العدة فمرحباً ببعض ما لقيت المجلة من مواقف صعبة في الطبع والإخراج وما إلى ذلك وإنها لشاكرة أن هونَ عليها ذلك الصعب احتفال الكاتبيين والباحثين فقد أشبعوه بما كتبوا حتى إنها عجزت عن التقاعس فالعجز عن العجز قوة وقد لبسته المجلة قوة امتد بها زمنها واشتد به عودها حتى إنها قوية التفاؤل إذا ما دخلت سنتها الثامنة بأن تسير كما سبق لها على صورة أقوى. لا تدخلها سنوات سمان وإنما تمنعها أن تطغى عليها سنوات عجاف.

فليست السنوات السمان والسنوات العجاف من قلة التموين والتمويل وإنما من قلة العناية بها مجلة تخدم غاية هي أن تكون الدارة الكل تؤدي الهدف الذي أسست من أجله.

إن الدارة المجلة جزء من أمانة الدارة الكل قاومت أن أفصلها عنها وأقمتها أن تكون في الرياض، رجوت أن أزيح من نفسي رغبة أن أكون في جدة فالدارة الأمانة مقرها في الرياض وليس لها مقر آخر، والمجلة جزء

منها وأعود إلى السنوات السبع فكم هي من الأسرار في هذا الرقم كأنما هو رقم البركة أو الكمال أو رقم الكثرة، فأني قارئ يتتبع هذا الرقم يجد فيه ما ذكرت حتى إذا أردت أن تضيف رقم ثمانية تقول سبعة وثامنهم كلهم يجب أن تفصل بين سبع وثمان بالواو بينما لو قلت ستة سابعهم كلهم فأني سر في اللغة الشارعة أوجب ذلك؟

لا أذكر هذا تطرفا وإنما هي دعوة لباحث أن يشبع هذا الموضوع في بحث تنشره المجلة.

ولا يسعني إلا أن أحمد الله على توفيقه . . .

أريد . . وأريد . . وأريد . .

وما كدت أحمد الله على جزيل ما أفاء علينا من نعمه ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤) والنعمة التي أنا بصدددها، هي أن هذا العدد هو العدد الأول من السنة الثامنة، ولا أريد أن أطيل، بل أجدني ومن أجل المجلة وكتابها وقارئها، أطلب أن تتوالى البحوث والمقالات مما عرفت المجلة به، غير أنني هذه المرة أحدد المطلوب.

أولاً: أريد بحثاً يؤرخ ويجغرف لقوم «عاد» وما جاء في الأسفار أو الأساطير عن «إرم ذات العماد»، وعن «الإعصار» الريح الصرصر التي أهلكهم الله بها، وهل هم من نسل «قحطان» أم من نسل «سام».

ثانياً: كما هو المطلوب عن «ثمود» وفي خيالي أن «ثمود» جاءت بعد «عاد»، فهل هي «قحطانية» أم «ثمود» جد مستقل هو وعاد عن قحطان، فإما «لأرفخشذ» أو «لسام بن نوح» عليهما السلام.

أرجو أن يؤرخ لهم وتجغرف المنطقة كلها، وهل كان «جون فيلبي» على حق عندما سمى المنطقة (مدين أو أرض الأنبياء) وما علاقة سلع البتراء في الأردن بحجر ثمود، هل الطراز واحد، وأيها الأقدم؟

ثالثاً: وأريد أن نؤرخ للأنباط أصحاب «الرس» ولبعض الآبار التي لا تزال موجودة في أرضنا العربية، وهل اسم «الرس» في «القصيم»،

و«الرس» في شمال المدينة له ارتباط بالأنباط، فهناك كذبة تنسب الأنباط إلى الفرس، ولا بد من التصحيح، ولعلي أحفظ قولاً «لابن عباس» رضي الله عنه، أنه قال: (نحن من ولد النبيط)، يعني أنه من ولد «إبراهيم» أبي الأنبياء عليه السلام، فهل كان «الكلدان» هم الأنباط أو قبيل منهم؟ ونحفظ سؤالاً «لخالد بن الوليد» رضي الله عنه، فقد سأل «عبد المسيح» يوم فتح «الحيرة» صلحاً، قال خالد لعبد المسيح:

- هل أنتم عرب أم نبيط؟

فقال عبد المسيح:

- نحن عرب استنبطنا، وأنباط استعربنا.

وأريد كذلك بحثاً عن «طسم وجديس»، و «زرقاء اليمامة» يعني عن بعض التاريخ من كل التاريخ ليعلم أننا أبناء ماضٍ.

أسئلة أو رغبات أطرحها لعلّي أجد من يستجيب، فليس لدي من الجهد، ولا من حصيلة العلم ما يجعلني واحداً من الذين سألتهم، وحسبي أن أكون قد حققت هذه الرغبة لي ولكم أيضاً.

والله ولي التوفيق..

حَسْرَةٌ . . وَحَسْرَةٌ . .

وهذا العدد الثاني من السنة الثامنة من «الدارة» فالحمد لله على توفيقه .
وأمام الحسرة مرتين ينبغي لمن كان على ثغرة ألا يجفل من الحسرات وأن يقتحم المعوّقات: فالحسرة الأولى قلة الباحثين إن لم تكن على نطاق أوسع في العالم العربي كله فهي على نطاق متسع لدينا . كأنما نحن قد ابتدأنا ولم نبدأ! تلك مرحلة أرجو أن يتم فيها الاستعداد للإعداد . والحسرة الثانية هي قلة القارئ في الأمة العربية كلها كأنما القارئ هو المشط الأول للباحث .

سألني فتى صيني سمعتك تذكر صن يات صن فهل قرأت عنه؟ قلت: لقد قرأت القليل، فالعربي يوم كان يصنع الحضارة الوسيطة امتدت علاقاته بكل الحضارة القديمة . لم يجف الصين واقترب من الهند وعانق اليونان لكن العربي اليوم فعله ردّ فعل، لا يصدر إلا عن الانفعال، والثقافة التي يقرؤها يعرفها يهضمها، يمثلها، جلها ليست من صنع العربي للعربي، إلا أن تكون تراثاً، وإنما هي مصنوعة معلبة يتجرعها جرعات من بعض الترجمات أو إذا ما تجلّز أو تفرّس أو تأمّر، فلا تجد باحثاً عربياً يصل علاقة التراث الحضاري بالأصول التي أخذها فهضمها فأرسل الحضارة الوسيطة .

لا صلة مع الصين، ولا مع الهند، ولا مع الإغريق . بل إن المحزن

أنه كاد يقطع الصلة بين حاضره الآن وماضيه وقليل عندنا من أخذ الدكتوراه في بحث عن ابن عباس أو عن جابر بن حيان أو عن ابن سينا أو عن المقارنة بين المعري ودانتي، بين نيتشه والمنتبي إلى آخر ما هو أكثر من ذلك وأعمق وأجدى نفعاً، وأكسب للمجد.

من هنا أ طرح على الذين أنعم الله عليهم بالشهادات العليا أن يمدونا ببحث عن القبلية في الأمة العربية وهي أشد ما تكون في جزيرتنا: ما عيبها؟ ما مزاياها؟ وهل هي أفضل من الطبقية والإقليمية؟ ولكي أوضح السؤال لم تعد في العالم العربي قبلية وإنما هي الإقليمية والأشد ضرراً من الإقليمية الطبقية ولا أعني الفرق بين الغني والفقير، ولا العربي العرق والعربي الاستعراق، وإنما أعني بذلك - في بعض الأقاليم شرق السويس - الفرق بين طبقة عليا امتلكت السيادة زمناً طويلاً (بيوتات) وطبقة محتقرة سلطوا عليها أن تكون خادمة مسترذلة فأصبحت الطبقة الارستقراطية تنوب بالاتكال على القيمة والمكانة. وابتعدت عن القيم فسخرت الطبقة المحتقرة فإذا الزمن وفطنة الاستعمار أعطت لهذه الطبقة المحتقرة أن يدخل أبنائها المدرسة، أن يتقدموا بما تعلموا، فأمسكوا بالزمم يمارسون الانتقام، لا يسألون إلا عن مكانتهم التي أمسكت بزمام السيادة، فاحتقروا السادة انتقاماً فإذا الأمة العربية تلقى أشد الخسارة، ولا بد من الثناء على سلوك الدولة العثمانية في هذا النحو فإنها حين أرادت أن يكون من أبناء العرب ضباط في جيشها لم تأخذ إلا من أبناء البيوتات وأصحاب القيمة. أما فرنسا وإنجلترا فسلخوا غير هذا الطريق، أرجو من الباحثين أن يتوفروا على المقارنة بين العهد القبلي والعهد الإقليمي والعهد الطبقي.

رَسْ . . وَرَسْ . .

وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي أَنْ أَكْتُبَ كَلِمَةً أَفْتَتِحُ بِهَا الْعَدَدَ وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ سَأَتَجَنَّبُ
رِكْرَ الْمَجْلَةِ بِكَلِمَةٍ حَامِدَةٍ شَاكِرَةٍ وَإِنَّمَا أَذْكُرُهَا كَوَعَاءٍ ثَقَافِي أَحَبُّ لَهُ إِلَّا
يَفْوُتُهُ شَيْءٌ مِنْ رَوَافِدِ التَّرَاثِ وَالثَّقَافَةِ . فَالْمُثَقَّفُونَ لَدَيْنَا كَثِيرُونَ أَرْجُو أَنْ
أَسْتَكْثِرَ بِهِمْ أَكْثَرَ وَأَفَاخِرَ لَا أَحَبُّ أَنْ تَنْفَرِدَ شَيْبَانُ بِهَذَا اللَّقَبِ وَالْمَطْلَبِ
الَّذِي أَرِيدُهُ هُوَ بِحُوثٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَبَحْثٍ شَامِلٍ عَنِ الْإِنْسَانِ الَّذِي سَكَنَ نَجْدَ
بُلِّ الْعَدْنَانِيَّةِ فَهَلْ أَجْدُ عِنْدَ الْمُثَقَّفِ بَحْثًا يَشْرَحُ فِيهِ تَارِيخَ طِيسَمٍ وَجَدِيسِ
وَزَرْقَاءِ الْيَمَامَةِ وَهَلْ سَكَنَ الْأَنْبَاطُ نَجْدًا وَهُمْ أَصْحَابُ الرَّسِّ فَسَمَّيْتُ مَدِينَةَ
الرَّسِّ فِي الْقَصِيمِ بِاسْمِهِمْ أَوْ بِاسْمِ الْأَبَارِ الَّتِي حَفَرُوهَا هُنَاكَ فَلَا زِلْنَا نَنْطُقُ
اسْمَ الْبُئْرِ الرَّسِّ بِكَسْرِ الرَّاءِ الْمَشْدُودَةِ بَيْنَمَا الْفَصْحَى تَنْطِقُهَا بِفَتْحِ الرَّاءِ
الْمَشْدُودَةِ وَعِنْدَنَا فِي الْكِيَانِ الْكَبِيرِ رِسَانُ رَسِّ الْقَصِيمِ وَرَسٌّ فِي شَمَالِ الْمَدِينَةِ
جَهَلْتُ حَدُودَهُ وَأَيْنَ هُوَ؟ وَإِنْ حَفِظْتُ اسْمَهُ، حَفِظْتُ ذَلِكَ حِينَ نَسَبُوا بَعْضَ
الْعُلُوِّيِّينَ مِنَ الْأَشْرَافِ فَقَالُوا الْأَشْرَافُ الرَّسِّيُّونَ أَرْجُو مِنْ أَسَاتِذَتْنَا فِي
الْجَامِعَاتِ وَمِنْ غَيْرِهِمْ أَنْ يُوَافُوا الْمَجْلَةَ بِمَا طَلَبْتُ وَلَا أَرِي أَنْ أَزِيدَ .

وثيقة هامة . .

وَمِنْ خَطِ الْمَجَلَّةِ حَرْصُهَا أَلَّا تَنْشُرَ مَقَالًا نَشَرَ فِي غَيْرِهَا، وَمِنْ تَقَالِيدِ الْمَجَلَّةِ أَنْ تَعْنَى بِالْوَثَائِقِ؛ فَالْعَنَايَةُ بِالْوَثِيقَةِ قَدْ دَعَتْنِي أَنْ أَنْشُرَ أَسْمَاءَ الْأَبْطَالِ الَّذِينَ رَافَقُوا الْإِمَامَ الْبَطْلَ السَّلْطَانَ الْمَلِكَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَيْصَلِ آلِ سَعُودِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ رَافَقُوهُ فِي اسْتِرْجَاعِ الرِّيَاضِ فَأَسَّسُوا قَاعِدَةَ هَذَا الْكِيَانِ الْكَبِيرِ: «الْمَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السَّعُودِيَّةُ» فَقَدْ كَانُوا سَيُوفًا فِي يَدِ الْمُجْمَعِ الْمُوَحَّدِ صَانِعِ الْوَحْدَةِ الْأَنْمُودَجِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، تَعْمَدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ.

إِنَّ هَؤُلَاءِ السَّبْعَةَ وَالْأَرْبَعِينَ أُعْتَبِرَ نَشْرُ أَسْمَائِهِمْ فِي الْمَجَلَّةِ وَثِيقَةً، حِفْظًا لِلتَّارِيخِ وَتَقْدِيرًا لِلْأَسْتَاذِ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الرَّوَيْشِدِ الصَّدِيقِ الَّذِي تَعَلَّمْتُ مِنْهُ كَثِيرًا، فَقَدْ كَانَ إِذَا تَحَدَّثَ تَأْخُذَهُ عَاطِفَةٌ شَامِخَةٌ كَأَنَّهُ قَدْ تَقَمَّصَ بِطُولَةِ هَؤُلَاءِ الْأَبْطَالِ، لَمْ يَصْنَعْ ذَلِكَ تَظَاهَرًا أَوْ تَظَرُّفًا، وَإِنَّمَا صَنَعَ ذَلِكَ حُبًّا لِأَرْضِهِ، صَوْنًا لِتَرَاثِهِ، عَشْقًا لِمَا وَصَلْنَا إِلَيْهِ. وَلَقَدْ مَضَى وَقْتُ عَلَى مِثْلِي - وَقَدْ كَلَفْتُ بِرِئَاسَةِ تَحْرِيرِ الْمَجَلَّةِ وَكَلَفْتُ بِتَتَبُعِ تَارِيخِ الْبَطْلِ - فَعَرَفْتُ بَعْضًا مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْمَجَلَّلَةِ بِغَرَةِ النُّصْرِ. كَانُوا خِيَالًا عَلَى غَيْرِ خَيْلٍ، وَكَانُوا قَلَّةً فِي الْعَدَدِ كَثْرَةً فِي الْمَدَدِ، حُبَّهُمْ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ لَمْ يُفْرَضْ عَلَيْهِمْ وَإِنَّمَا هُوَ حُبُّ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَهُمْ عَطَاءٌ بِعَطَاءٍ. رَجَالٌ عَيْشُهُمُ التَّمَرُّ، وَدَفْؤُهُمُ الْجَمَرُ، وَفَطَرْتَهُمْ أَنْ يَطْلُبُوا النُّصْرَ حِمَايَةَ لِعَقِيدَةٍ، اسْتِرْجَاعًا لِحَقِّ، فَوَجَدْتَنِي أَنْشُرَ

أسماءهم في مَجَلَّة الدارة وثيقة يعلمها القاصي والدَّاني .

إنَّ سَعْد الرويشد كان واحدا من الذين حفظوا فلم ييخل ، وأمد الله في عُمره حتَّى يَجُود ، ومضى غيره من العَارفين علمنا منهم بعض ما تناثر في أحاديثهم ويؤلمنا أن ما يعرفونه لم يُدَوَّن ، ولعلَّ بعضه قد دُوِّن وما زال في الخفاء فأرجو ممن عنده مثلما عند سَعْد الرويشد عن تاريخ عبد العزيز أن ينشره فليس هُناك معنى للتخفية ، ولا مَجَال للخوف ، فالخوف أن يذهب بعض العلم الذي يشرف به تاريخنا أمام التلجلج أو باللجاجة .

أنشر ذلك وثيقة تاريخية رغم أنها نشرت في جريدة الجزيرة في العدد ٣٧٢١ بتاريخ ١٢ صفر ١٤٠٣هـ الموافق ٢٧ نوفمبر ١٩٨٢م .

أقتصر على نشر الأسماء كما حدّدها الأستاذ سَعْد الرويشد ، يرَحِم الله الجميع :

١ - الأمير محمّد بن عبد الرّحمن آل فيصل آل سُعود (توفي بالرياض عام ١٣٦٤هـ) .

٢ - الأمير فهد بن جلوي بن تركي آل سُعود (قتل عام ١٣٢٠هـ في وقعة مع قحطان) .

٣ - الأمير عبد العزيز بن جلوي بن تركي آل سُعود (قتله ابن عجل صبراً في معقلا الماء المعروف بين الرياض والكويت عام ١٣٢٤هـ) .

٤ - الأمير عبد الله بن جلوي بن تركي آل سُعود (توفي في الأحساء عام ١٣٥٤هـ) .

٥ - الأمير عبد العزيز بن مساعد بن جلوي بن تركي آل سُعود (توفي عام ١٣٩٧هـ وهو آخر من توفي من المرافقين) بالرياض .

٦ - الأمير عبد العزيز بن عبد الله بن تركي آل سعود (توفي بالأحساء عام ١٣٥٦هـ).

٧ - الأمير فهد بن إبراهيم بن مشاري آل سعود (قتل في وقعة البكيرية عام ١٣٢٢هـ).

٨ - الأمير عبد الله بن سعود بن صنيتان آل سعود.

٩ - الأمير ناصر بن سعود بن فرحان آل سعود.

١٠ - الأمير سعود بن ناصر بن فرحان آل سعود.

١١ - فهد بن عبد العزيز بن معمر (من كبار المعامرة أهل سدوس قتل عام ١٣٤٠هـ بالقرب من بلدة حائل).

١٢ - صالح بن سبعان (من أهل الرياض جرح وقت الاحتلال).

١٣ - سعيد بن بيشان (من أهل الدرعية).

١٤ - مطلق بن عجيان (من أهل الرياض).

١٥ - إبراهيم بن عبد الرحمن النفيسي (من أهل الرياض جرح وقت الاحتلال).

١٦ - مسعود آل مبروك (من أهل الرياض).

١٧ - سطاتم أبا الخيل (من قبيلة الجبلان مطير).

١٨ - زيد بن محمد بن زيد من أهل الرياض (قتل وقت الاحتلال).

١٩ - فهد بن الوبير (من قبيلة العجمان قتل وقت الاحتلال).

٢٠ - حزام بن خزام العجاليين الدوسري (من أهل الأفلاج).

٢١ - ثلاب بن حمد العجاليين الدوسري (من أهل الأفلاج).

- ٢٢ - عبد الله بن شنار الدوسري (من أهل الأفلاج).
- ٢٣ - عبد الله بن عسكر الملقب بالسيّد (من أهل الرياض).
- ٢٤ - معضد بن خرصان (من آل شامر آل شايقة العجمان).
- ٢٥ - عبد اللّطيف المعشوق الملقب بالشليقي (من أهل الرياض قتل في البكيرية عام ١٣٢٢هـ وهو حامل الراية).
- ٢٦ - فهد المعشوق (من أهل الرياض).
- ٢٧ - محمّد المعشوق الملقب أبو عبيد (من أهل الرياض).
- ٢٨ - عبد الله بن صالح بن مشخص الملقب عوييل (من أهل الرياض قتل في البكيرية عام ١٣٢٢هـ).
- ٢٩ - يوسف بن صالح بن مشخص أخو عوييل (من أهل الرياض قتل في البكيرية عام ١٣٢٢هـ).
- ٣٠ - مسلم بن مجفل السبيعي (من الصملة سبيع قتل في وقعة الطرفية عام ١٣٢٥هـ).
- ٣١ - سعد بن عبد الله بن عبيد (من أهل ملهم).
- ٣٢ - سعد بن بخيت آل تركي (من أهل الرياض) والده بخيت مولى للأمير تركي ابن الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي.
- ٣٣ - عبد الله بن عثمان الهزاني (من بني هزان أهل الحريق).
- ٣٤ - عبد الله بن حسين بن جريس (من أهل العمارية).
- ٣٥ - ناصر بن عبد الله بن شامان المليحي (من أهل العمارية).

- ٣٦ - محمد بن هزاع (من أهل الدرعية قتل في البكيرية عام ١٣٢٢هـ).
- ٣٧ - خليفة بن بديع (من أهل الدرعية).
- ٣٨ - عبد الله بن خنيزان (من أهل الرياض).
- ٣٩ - منصور بن محمد بن حمزة (من أهل الرياض قتل في بلدة ثرمدا في سرية مع عبد الله بن جلوي عام ١٣٢١هـ).
- ٤٠ - منصور بن فريح (من موالى الملك عبد العزيز قتل في البكيرية عام ١٣٢٢هـ).
- ٤١ - محمد بن شعل (من أهل الدرعية).
- ٤٢ - مطلق المغيربي (من أهل الرياض).
- ٤٣ - ماجد بن تركي بن مرعيد (من قبيلة الظفير وهو حليف للجمالين سبيع).
- ٤٤ - فرحان آل سعود (من موالى آل سعود).
- ٤٥ - فيروز آل عبد العزيز (من موالى الملك عبد العزيز).
- ٤٦ - مناور العنزي (من قبيلة عنزة).
- ٤٧ - نافع الحربي (من قبيلة حرب).

أمل . .

وَالْمَجَلَّةُ إِذْ تَبَدَّأَ عَامُهَا التَّاسِعُ تَضَعُ نَفْسَهَا أَمَامَ قَارِئِهَا فِي حَلَّةٍ جَدِيدَةٍ تَسَايِرُ التَّطَوُّرَ وَتُلَبِّيُّ مَطَالِبَ الْقَارِئِ كَاتِبًا وَالْكَاتِبَ قَارِئًا. فَقَدْ أَرَادُوا لَهَا أَنْ تَكُونَ مَجَلَّةٌ تَعْطِي مَا يَنْشُرُ كُلَّ الْعَنَايَةِ، فَاتَّجَهَتْ هَيْئَةُ التَّحْرِيرِ إِلَى هَذَا التَّخْطِيطِ الْجَدِيدِ. فَهَيْئَةُ التَّحْرِيرِ أَصْبَحَتْ وَقَدْ اتَّخَذَتْ صِفَةَ الْحَكَمِ وَحَتَّى سُلْطَانُهُ مَدْعُوَةٌ أَنْ تَوَاكِبَ هَذَا التَّطَوُّرَ، وَأَيَّمَا مَسِيرَةٍ لِعَمَلٍ سَبَقَ لَهُ النَّجَاحُ وَيَرْجَى لَهُ نَجَاحٌ أَكْثَرَ يَنْبَغِي أَلَّا يَجْمَدَ عَلَى صُورَةٍ وَاحِدَةٍ بَلْ يَخُوضَ التَّجَرِبَةَ بَعْدَ الْآخَرَى، فَمَا صَلَحَ يَبْقَى كَأَنْمُودَجٍ، وَمَا ثَبَتَ أَنَّهُ غَيْرُ صَالِحٍ يَعْدِلُ عَنْهُ.

مَنْ هُنَا أَجْدَنِي شَاكِرًا مَسِيرَةَ الْمَجَلَّةِ فِي أَعْوَامِهَا الثَّمَانِيَةِ، وَلَعَلِّي أَضْمُ إِلَى الشُّكْرِ شُكْرًا إِذَا مَا نَجَحَتْ التَّجَرِبَةُ وَأُطْمِئِنَّ الَّذِينَ أَرَادُوا لَهَا ذَلِكَ كِإِضَافَةِ نَجَاحٍ إِلَى النِّجَاحِ.

وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ،

وحدة الأثر تعني وحدة الأرض والأمة

بسم الله الرحمن الرحيم: وهذه فاتحة العدد (الثاني للسنة التاسعة) أضعها أمام القارئ بعد التحية له عن موضوع وضحه العنوان وأرجو أن يحقق يقيناً بالبرهان.

ولقد كتبت كثيراً أدعو إلى إسقاط انفرادية التاريخ فإذا ما دعا شعب عربي من هذه الأمة الواحدة إلى أنه صاحب حضارة مستقلة تختلف عن حضارة شعب عربي من قومه من أمته. فإنه بهذا الفخار أو بهذا الاستثثار إنما يدعو إلى شعوبية داخل الأمة في وحدة تاريخها وفي وحدة أرضها.

كتبت عن هذا كثيراً ودعاني أن أكتب اليوم ما سمعته من أستاذنا الأثري جمال مختار. الذي عرفته حين سمعته أستاذاً في جامعة الملك سعود. فلقد تحدث في صوت العرب عن (الجعارين) التي وجدت في الحفريات حين تولت الجهة المختصة في جامعة الملك سعود خطواتها الأولى في التفتيش عن الآثار في الدمام، كما صنعت الجميل وقدمت البرهان في حفريات (الفاو) ما كنت إلا واحداً من الحامدين الشاكرين لصنع جامعة الملك سعود، ولما بذله الابن الدكتور عبد الرحمن الأنصاري وما يبذله الابن الدكتور عبد الله المصري وزملاؤه.

إن أستاذنا جمال مختار سمعته يقول: لقد وجدنا (الجعارين) في حفريات الدمام ويفسر وجودها بأنها ما وجدت إلا حينما جلبها التجار ويعني بذلك أنه ينفي وجودها في جزيرة العرب أوثناً عبدة فهو يراها تحفا تجارية مع أنها في نظري أعني (الجعارين) لم تكن إلا من وثنية (الفراعين) فالفراعين كما ألهوا (البس، والعجل، ألهو الجعارين) إن هذا النفي الذي حصر (الجعارين) في مصر وأنها لم تكن في شرق الجزيرة العربية إلا بضاعة. نأخذ منه أمرين: أولهما أن الأستاذ تحاشى أن يصف ساكن الأرض في شرق الجزيرة من أن يكون وثنياً قد أله (الجعارين) وهذه طرفة من التآدب ولكن ما أدعو إليه وهو الأمر الثاني أن يكون التحقيق يثبت منه أن وحدة الأثر سواء أكان ذلك تأليه (الجعارين) أو تأليه (الهر) باسم البس في مصر إنما يدل دلالة واضحة صحيحة على وحدة الأثر: لأن الأرض واحدة والأمة واحدة ولا شك عندي أن (الجعارين) التي وجدوها في حفريات الدمام لم تكن تحفا ولا بضاعة وإنما كانت وثناً عبوده في تلك المنطقة.

فهناك ظاهرة من الصابئة عباد الكواكب تكاد تنحصر بسبب الحرب التي شنها عليها أبو الأنبياء خليل الله إبراهيم عليه السلام. تكاد تنحصر بأنها لم تكن إلا عبادة سكان ما بين (النهرين) أعني الكلدان قوم إبراهيم عليه السلام.

فيما الواقع أنها كانت عبادة الأرض العربية كلها. سبأ كانوا يسجدون للشمس والفراعين ألهوا الشمس وساكنو سيناء ألهو القمر حتى إن اسمها (سيناء) مشتق من القمر، السناء والسنا.

ومكة البيت الحرام التي طهرها الله لعقيدة التوحيد إله واحد لا شريك

له. كان ساكنها يعبد القمر حتى قالوا إن اسم (مكة مركب من كلمتين بالإضافة الأعجمية (ماه - كه) أي بيت القمر. فماه بالفارسية كما قالوا لنا تعني القمر وكه تعني البيت أي بيت القمر. كما هي الإضافة في (بعلبك) أي بيت بعل.

إن وحدة التأليه الوثنية كانت واحدة في الأرض العربية والشعوب العربية كلها.

ولقد قلت تأييداً لذلك بما سبق أكثر من مرة: إن الذين نحتوا الجبل قبل خمسة عشر ألف عام في حجر (ثمود) أو في (البتراء) سلع هم آباء وإخوان الذين بنوا الجبل أهرامات في مصر وهناك لمحة أستملح فيها وأضعها برهاناً على ما قلت. فعاد إرم ذات العماد قد ألها الأسد باسم الهر فانتقل الاسم إلى (اليمن) فأهل اليمن لا يعرفون اسم (البس) أو القط وإنما يعرفون كلمة (الهر) ومصر في عهد الفراعين ألهو (البس) أكاد أزعم أن عبادة (البس) في مصر الفرعونية جاءت وارثة من عبادة عاد للهر واستلمح مرة أخرى حين أذكر أن رأس الأسد من النحاس قد وجد في (الربع الخالي) فإذا هو الآن في متحف لندن يحمل اسم المكان الذي وجد فيه إن الذي وجده هو (جون فلي) فليس من شك أن الفراعين والكنعانيين - والفينيقيين قد رحلوا من قرية (بون) في اليمن بين الحديد وصنعاء عبرها الجيش المصري حينما انسحب من اليمن بعد مؤتمر الخرطوم. إن (بون الألمانية) هي تسمية كنعانية من تركة الحرب البونية بين الكنعانيين وقبائل الجرمان.

إن هذا العرض ليس إلا دعوة للتحقيق والتدقيق عما ذكرت وعمما ستجدونه من آثار بعد. ولا أزعم أنني قد أتيت بالحقيقة التي لا تخضع

للحوار والتخطئة. فكل ما أردت أن أضع هذا الموضوع بين أيدي أساتذتنا
الأثريين، والبراهين على ما قلت كثيرة. وأخيرا إن شعوب الأرض العربية
كلها كانت وثنية فأنعم الله عليها بالرسل والأنبياء يهدونها إلى عقيدة التوحيد
فليس من الأثر أن ننفي عنهم عبادة الوثن ولو على صورة (الجعارين).
وعلى الله التوفيق..

ن هم العبرانيون؟

ولعلي طالب علم أبحث عن الحكمة، فإن وجدتها أمتع بها والمتعة بالمعرفة أريدها للجميع للمسلم والعربي والإنسان. من هنا تعودت أن أطرح أسئلة عن خواطر ترد عن رؤية الواقع أو عن فكرة خفية على معالمها وحتى لو اتضحت تلك المعالم فليس من المستحسن أن أصدق هذا الوضوح: بل ينبغي أن أضعه أمام القارئ.

إن هذه الدهلزة بسطتها أمام ما أطرحه من أسئلة. كما يأتي:

١ - قالوا إن أبناء سام قد اقتسموا الأرض وليست هي إلا جزيرة العرب حول النهرين ووسط الجزيرة واليمن السعيد. حتى الأحقاف والربع الخالي.

وقد درج العرب في تاريخهم الحديث على أن يحددوا جزيرتهم شمالاً من جنوب جبال طورس، والبحر الأحمر وشرقاً أرمينيا وأرض فارس، وجنوباً المحيط الهندي، وغرباً البحر الأحمر وبرزخ السويس. إن هذا التحديد الحديث لعله قد وصل إلينا من التحديد القديم.

٢ - فأبناء سام قد أطلقت عليهم أسماء ثلاثة حسب تحركهم من أرض الخصب إلى أرض الجذب أو من أرض الجذب إلى أرض الخصب. فقد قالوا إن أبناء سام هم عربيون أو عرييون وعبرانيون وخيريون.

فالعربي توطن الصحراء والخيري سكن اليمن السعيدة والعبراني عبر النهر أو هو عبر إلى النهر. هذا هو لب السؤال.

ليست المشكلة أمامي أن أعرف العربي وموطنه، ولا الخيري وموطنه، ولكن هو ماذا تعنيه كلمة العبراني؟ إن العبرانيين فيما شاع وذاع أنهم اليهود ولا أعتقد أن هذا الاسم لم يطلق عليهم في حياة أبيهم إسرائيل يعقوب عليه السلام. فالذي عبر النهر وحده هو جد يعقوب أبو الأنبياء عليه السلام وما أطلق على نفسه أنه العبراني، فلو كان هذا اللقب من ألقاب إبراهيم عليه السلام لأطلق على إسماعيل وبنيه ما دام قد أطلق على إسحاق وبنيه. وهذا اللقب أيضاً لم يطلق على يعقوب فحين قدم إلى مصر لم يكن معه إلا ستة وثمانون شخصاً وما قالوا عنهم إنهم العبرانيون أو العابرون أنهم أبو يوسف، وإخوة يوسف بنو إسرائيل، جاء بهم من البدو فقد كان يعقوب يرسل من قرية إلى قرية وكان يعقوب وبنوه بدواً أهل غير. فالعير مطية الرّحال.

ولعلّي أزعم أن إطلاق لقب العبرانيين على اليهود قد أضافوه إلى أنفسهم حين عبروا البحر من مصر إلى سينا.

٣ - ما دام أنني قد حاولت أن أنفي اللقب خاصاً باليهود فإنني أحاول أن أثبته للذين عبروا النهر إلى ما حول النهر غرباً وجنوباً. فإذا كان العابرون عبروا النهر. فقد كان هذا اللقب يطلق على الذين عبروا. ويعني أنهم موجة.

فالآشوريون عابرون والهكسوس عابرون فلم يطلق عليهم هذا اللقب. إذا ففي من ينحصر هذا اللقب؟

لكي نحصر هذا اللقب فيمن سمي به ينبغي أن نرجح قول الذين

أنكروا العبور من أرض الخصب إلى أرض الجذب وجعلوا العبور من أرض الجذب إلى أرض الخصب.

إذاً فالكلدان الذين عمروا ما بين النهرين هم (العبرانيون).

- لكن حين انتشر أبناء سام في جزيرة العرب هل كان الخصب محصوراً حول النهر وفي اليمن السعيدة أم أن انتشار أبناء سام في جزيرة العرب كلها يوم كانت الجزيرة كلها خصبة، فقد أدرك بنو سام: فهم نسل نوح بعد الطوفان امتداداً بعيد الزمن في العصر المطير. فانتشار بني سام كان من الخصب إلى الخصب عربيون وعبرانيون وخبيريون حتى إذا بدأ عصر الجفاف تحددت معالم الخصب ومعالم الجذب. ودليلي على أن جزيرة العرب كانت مخصبة هذا الحديث في مسند الإمام أحمد (لن تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً). أي إنها كانت ذات مروج وأنهار وسوف تعود.

فكانت موجات العبور - أي الهجرة - موجات من الجذب إلى الخصب.

أرجو أن يفهم القارئ أن هذا ليس بحثاً كله الصواب، وإنما هي أسئلة عن خواطر أحببت أن أعالجها راجياً من الدكتور حسن ظاها والدكتور عبد الرحمن الأنصاري والدكتور عبد الله المصري وغيرهم. أن يواكبوا هذا الموضوع زيادة وإيضاحاً وتصويبا وتخطئة.

الوثيقة التاريخية

وأخذت أجتز لأكتب افتتاحية هذا العدد، وما كدت أعثر على فكرة حتى وافتنني هذه الرسالة الكريمة من صاحب الفضيلة والمعالى رئيس مجلس إدارة دارة الملك عبد العزيز، ووزير التعليم العالى الشيخ حسن ابن عبد الله آل الشيخ، وقد قرأتها، أو بالأحرى استقرأتها فرجحت نشرها، لا لأضيف بذلك علما جديدا عن دعوة السلف التى درج خصومها يبتعدون عن تسميتها «الدعوة السلفية»: لأنهم يتحاشون إعلان الحرب على الدعوة السلفية، فتخيروا أن يقولوا «الوهابية» تسمية أرادوها لتكون حربهم على الشخص: يتقولون الأقاويل، كما أنهم فعلوا الأفاعيل.

وإنصافاً للحق أنشر رسالة الشيخ وخطاب الدكتور الشويعر والرسالة الموجهة إلى من تخيرهم إمام الدعوة وسلطان الدعوة من أولى العلم فى تونس، كما أن إمام الدعوة وسلطان الدعوة لم يقتصر على تونس: بل كان السلطان سليمان ملك المغرب قد بلغته الدعوة فأصبح من أنصارها. وقد سجل ذلك الأستاذ الكبير علال الفاسى يرحمه الله فى محاضرة ألقاها فى مكة المكرمة.

ثم إن الدعوة قد وصلت إلى مصر، فإذا العلامة المؤرخ الجبرتي - وفى عهد محمد علي الذى كان حربا على آل سعود وعلى أئمة الدعوة -

يكتب في تاريخه هذا اللقب يطلقه على الإمام عبد الله حين سمّاه الشهيد. فلولا أن الجبرتي عرف هذه الدعوة وعرف أن الإمام عبد الله كان مجاهداً في سبيل الإسلام الخالص من الشوائب الطرقية وما إليها، لولا أن الجبرتي كان يعرف ذلك لما أطلق هذا اللقب يصف به الإمام عبد الله بأنه الشهيد.

وبرغم كل العراقيل والمعوقات التي تسلطت على هذه الدعوة بقوة السلطان وشراسة الطرقيين، فإن دعوة السلف قد انتشرت، حتى إن الأكابر من علماء المغرب لم يكونوا يعيدون عنها.

والحكيم الكبير جمال الدين الأفغاني وتلميذه الإمام محمد عبده والسيد رشيد رضا وجمال الدين القاسمي، من علماء دمشق، والسلفيون من أهل الحديث في الهند، كلهم كانوا أنصاراً لهذه الدعوة، حتى إن جمال الدين الأفغاني لم يسلم من الملحدين ومن الطرقيين، ومن عسف السلاطين، وإذا هو اليوم يتعرض للذين يكونون الحرب على الدعوة السلفية: لأنهم يخافون سلطان القوة الذي يناصرها الآن، فأخذوا - وباسم السنة التي يعلنون - يخرجون جمال الدين من الإسلام لأنه «ماسوني»! مع أن حربه للاستعمار وللطرق، وما جاء في «العروة الوثقى» تثبت أن الرجل كان نصيراً للسلفيين.

من هنا، فإننا نحمد الله تعالى على أن هذا البلد قد توّحد كياناً وعقيدة، كما أن الأمصار المسلمة بدأت تتقارب، كأنما كلهم قد التقوا بأئمة الدعوة السلفية.

إن ساطع الحصري، وعبد الرحمن الرافعي، ومحمد توفيق، كلهم أكبروا ما صنع آل سعود: فقد اعتبروا أن قيام السلطان السعودي ودعوة السلف نهضة إسلامية وقومية، فأشادوا بها كقوميين، وتلك الإشادة رديف

لا نرفضه. فإن هذا البلد كما قلت أكثر من مرة، أعني المملكة العربية السعودية، عربي على الذروة مسلم على السنام. فلئن كانت القوميات تعترز باسماء الأقاليم أو بتسميات أخرى: فإن إقليمية هذا البلد ووطنيته هي الإسلام عربيا، والعروبة مسلمة، فلا إزدواجية، وإنما هو التزاوج، لا ينفك العربي في هذا البلد عن إسلامه، ولا يتخذ الشئ على الإسلام من بعض الشعوبيين موضعاً لمذمة العرب. يكفيهم أن القرآن بلسان عربي مبين، وأن خاتم الرسل سيدنا محمد عربي، وأن الهداية والفتح ما كانا إلا بعز الإسلام وكلمة التوحيد، وعز الإسلام ما كان إلا بسيف ومجاهد كلهم من أبناء هذا البلد: جزيرة العرب.

إن الدعوة السلفية - إذا ما دققنا النظر في هذه الرسالة - تدل على قوة السعي لنشر الدعوة وعلى قوة العارضة والنية الصادقة. كل ذلك أبى إلا أن يبلغ، رغم بعد الشقة وشظف العيش وقلة السلاح، ورغم تكالب الأعداء. لكنه الإيمان ينتصر دائما بالحرب عليه.

ومن عطاء الحق أن أنشر ذلك كاملا.

والله من وراء القصد.

التعجيز لا العجز

والحمد لله، فهذا هو العدد الأول من السنة العاشرة. ومن عمر المجلة «الدارة» نزهة إلى القراء، لا نستجدي الثناء، وإنما هو إجزاء الشكر لقارئ كتب، أو لكاتب يقرأ، نرجو أن نضيف إلى القارئ وإلى الكاتب كما ذا كيف من القراء.

فالحرف مكتوباً أو مسموعاً لا حياة له إلا بقارئه، فلتن أعطى له الحياة كاتبه فإن عمره المديد لا يمتد إلا بالقارئ.

ومجلة «الدارة» قد أعطت لقارئها ما ينبغي، ولم تعجز عن عطائها لما ينبغي: ذلك ليس من عجز عن العطاء، فكفاءة القادرين ما زالت وفية بالعطاء، ولكنه التعجيز، لم يُفرض عليها من سلطان، ولا من جهاز، ولا من نقص في التجهيز، وإنما هو تعجيز الظروف، وإلا فالدارة الأمانة، والدارة المجلة، والدارة المجلس، ورئيسه لا يبخلون بما لديهم من الوثائق، وبما عندهم من المعرفة، ولكن الباخل هو التآني ومسيرة الهوينا.

وأحسب أن الفرصة قد حانت لتقتحم المجلة بعض العوائق، فعسى أن يجتمع مجلس الإدارة لتعرض عليه المجلة فكرة التوثيق بالوثائق التي لدى الدارة، أمانة ومجلة.

فكثير من حوادث التاريخ، سير الأبطال، وعطاء الأرض، وما إلى ذلك لا يزال في حاجة لا إلى استقراءه، وإنما إلى الاستنباط منه، والفقه، فالحاجة إلى التفهيم كالحاجة إلى الفهم. عسى أن يتم ذلك.

والله ولي التوفيق.

عبد العزيز تاريخ . . لا سيرة

وكان هذا عنواناً لسلسلة من المقالات كتبها عن الإمام السلطان الملك «عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود»، نشرت في جريدة «البلاد» جمعتها في كتاب صغير الحجم تحت اسم «عبد العزيز والكيان الكبير»، ذلك أن البطل في تاريخ الأمة إذا ما اقتصرنا على استقراء السيرة - دون أن نفقه المسيرة - نستنبط منه تاريخاً صنعه البطل من تاريخ صنعه الأمة، فالبطل السيرة لا نعطيه حقه إذا ما اقتصرنا على ذلك.

إن البطل - أي بطل - تستجد به أحداث في التاريخ هو صانعها، ولم يصنعها من فراغ، بل إنه استمدها من تاريخ أمته، فالبطل مطلب الأمة، والأمة هي مطلبه.

ويعني ذلك أنها تصنع بقيمتها كل القيمة له وهو يصنع بما اعتنق من قيمتها وما ليس من قيمة التقييم لشخصه ولأتمته، فالتقييم للبطل لا ينحصر في السيرة، وإنما تتسع القيم والقيمة والتقييم ليكتب تاريخاً لهذا البطل كجزء يكمل به تاريخ أمته.

ومضت سنون فإذا هناك أعمال خفيت عليه يزدان بها تاريخ هذا البطل. فشغلي الشاغل هو أن أعرف كل أساليب البطولة من تاريخ هذا البطل، وما كانت هذه البطولة أنه انتصر على طول الخط، بل إن ما أصاب

البطل من هزيمة خرج منها ينتزع النصر من مخالبتها هو العمل العظيم، لأن النصر من مخالبتها هو العمل العظيم، ولأن النصر حين ينتزع من مخالبا الهزيمة يعطينا البرهان على عبقرية البطل، لا يهتز ولا تستبد به الهزيمة، فالمواقف الصعبة لو ضاع فيها رشده لانتهى البطل، ولكن في أصعب المواقف لم يضع منه الرشده، فاسترشد وأرشد وعاد يحول الهزيمة إلى نصر جديد.

ولديّ قائمة وضعتها أضيفها بعد، حين أعيد طبع هذا الكتاب «عبد العزيز والكيان الكبير» انسلخ منه إضافات - لم أتنبّه إليها - عن أشخاص آخرين حين تركته في يدي من جمع لي المقالات، فإذا المطبعة تشرك آخرين مع البطل، سأعيد طبع هذا الكتاب مضافاً إليه الكثير مما عرفت بعد، سواء من كتب ألفت عنه، أو حفظت من أفواه الرجال.

فمن العظيم في تاريخ هذا البطل أن أفواه الرجال من عارفه تجد فيه الصورة الكاملة والواضحة لهذا البطل من قصة وقعت، أو كلمة قالها، أو موقف انتصر فيه ولم يسجل، أو موقف صعب خرج منه إلى نصر جديد.

غير أنني أريد أن أسرع بالزمن خشية أن تعجزني السنون، أو لا تسعفني الحافظة، حافظة شيخ قد قارب الثمانين، لهذا أذكر الشيء الجديد، ما قرأت من كتب وما سمعت من حديث عنه لا بد أن يكتب ويسجل كبرهان على ما أنعم الله به على عبد العزيز بن عبد الرحمن.

إنني أقتحم الحواجز فأسجل هذا التقييم من تاريخ البطل نعمة أنعم الله بها عليه.. الكلمة قصيرة هي. إذ أقولها:

«إن عبد العزيز بن عبد الرحمن قد أنعم عليه حيث لم يكن الثقافي

الذي أهدر قيمة الحرم. يضرب الكعبة بالمنجنيق، كما أن عبد العزيز لم يكن المريّ الغطفاني الذي أهدر دار الهجرة «المدينة المنورة».

لقد منّ الله على عبد العزيز أنه لم يكن ذاك الثقفي، ولكي لا نبخس الناس أشياءهم فإن الحسين بن علي «رحمه الله»، لم يكن القرشي الذي أعطى الفرصة للثقفي أن يهدر كرامة الحرم، فحين أقبل عبد العزيز خاشعاً استقبلته مكة مرحبة، فإذا هو يطوف ويسعى آمناً في مكة، آمنة به مكة.

أما عن المدينة المنورة، فقد صنع لها السلامة من كل سوء أمر بمطاوله الحصار، حتى مل بعض من حاصرها «فيصل الدويش مثلاً»، وحتى أمدّها جيش إبراهيم النشمي كأمر عبد العزيز بالغذاء مطاولته للحصار، كان ذلك من حرمة عبد العزيز للحرمين، فإذا المدينة تستقبل ابنه سمو الأمير «محمد بن عبد العزيز» استقبالا حسناً. فإذا هو الآمن فيها. الآمنة به.

أعيد هذه الكلمة، لقد منّ الله على عبد العزيز ألا يكون الثقفي أهدر قيمة الحرم، ولم يكن المريّ أهدر قيمة مأزر الإيمان دار الهجرة «المدينة المنورة».

إن هذا جزء من تاريخ الأمة لا أخرج من ذكره ولا أتملق به، فالشيخ العجوز لا حاجة له إلى الملق لا إلى المداجاة، وإنما حاجته أن يكون صادقاً في عرض التاريخ وفكر التاريخ.

ويرحم الله عبد العزيز بن عبد الرحمن، وأمد الله أبناءه الملوك وإخوة الملوك والأسرة جميعاً بما وعد من حفظ للأبناء جزاء لتقوى الآباء.

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ صدق الله العظيم (النساء: ٩).

إن عبد العزيز تاج تاريخه أنه رد الاعتبار لجزيرة العرب في وحدة الكيان الكبير.

قالوا عن البطل عبد العزيز بن عبد الرحمن

أول كلمة قالها هو عن نفسه، لم تكن حروفاً قالها لنفسه، وإن أفعم بها ضميره وامتلأ بها وجدانه قال:

لقد فقدنا ما ملكنا بأسباب لا بد أن أحاربها لكي أعيد الإمامة لآل سعود، لكي أسترجع الرياض، حيث يعود لعقيدة السلف نشرها وترسيخها. فلكل ذلك يجب عليّ أن أفعل، وما كان البطل الشاب يزعم لنفسه أنه الإمام في حياة أبيه، ولكن الإمام عبد الرحمن «يرحمه الله» قال الكلمة الثانية، ولم تكن هي حروفاً، وإنما كانت عملاً، كان وارث الإمام والسلطان، ولكنه نظر فأحسن النظر، وفكر فأحسن التفكير، كأنما ألهم بذلك إلهاماً، فإذا هو يتوّج ابنه عبد العزيز حين ألقى عليه المسؤولية.

يا ولدي لا شأن لي بالإمامة الآن، سأكون العون لك، فخذ المسؤولية واسترجع ما ضاع منا نحن آل سعود.

وحمل الشاب الأمانة، فبدأ يعمل حتى حالفه التوفيق، فعمل الإمام عبد الرحمن لا يفعلعه إلا عظيم، لأنه مثل خلق السراة، تجنب أن يقول الـ «أنا» وفعل ما نقوله كلنا اليوم هذا الكيان الكبير «المملكة العربية

السعودية» هي ليست الـ «أنا» وإنما هي الـ «نحن».

وكلمة ثالثة همس بها «راكاڤ بن حثلين» ذلك الفارس، قالها يوم أكرمه الشاب البطل عبد العزيز، يتخلّى عن مكانه في مجلس أمير البحرين، يدعو «راكاڤ» أن يجلس، احترام الشاب لمن يستحق التكريم، من حسن التربية وشموخ الرجولة. وأكبرها «راكاڤ».

يقوم للإمام عبد الرحمن:

هذا ولدك.. أبشر.. إنه هو الذي يعيد لكم السلطان تملكون ما ضاع.

والكلمة الرابعة أقدمها بكلمة عن أسبابها، فقد كان الملك عبد العزيز «تغمده الله برحمته» في الطائف ومفاوضات الصلح بينه وبين الإمام يحيى يرحمه الله، تتحرك بسرعة، فعبد الله الوزير يفاوض باسم اليمن، والملك عبد العزيز لا يرفض المفاوضة وكان هناك وفدان عربيان يحركان وساطة الصلح، الوفد الأول مؤلف من الأمير شقيب أرسلان، سيد هاشم الأتاسي، محمد علي علوبة باشا، أمين الحسيني كأنما شقيب يمثل كل العرب، وهاشم الأتاسي يمثل الشام، ومحمد علي علوبة يمثل مصر رغم ابتعاد القصر في مصر، وأمين الحسيني لبس التمثيلين عربياً عن فلسطين، ومسلما عن المؤتمر الإسلامي.

والوفد الثاني لم يكن رديفا لهذا الوفد، وإنما كان طليعة يمثل ما كانت تريده دمشق، جميل مردم، وتوفيق الشيشكلي، وفخر البارودي، وبينما المفاوضات تجري في الطائف، قدم إلى المدينة المنورة جميل مردم ورفيقاه، وبحسن المصادفة قد أقام الصيدلاني فوزي الصفدي حفل عشاء في بستان الصافي، وكنت من بين المدعوين، وكان مدير البريد والبرق

(يحيى بك زكريا) يجلس قرب التليفون، كأنما لديه علم عن خبر سيتلقاه، ليخبر جميل مردم ومن إليه، وقبل أن نتناول العشاء رن جرس الهاتف، فتناول السماعه يحيى بك وإذا هو يتهلل ويخبر جميل مردم بصوت جهير. لقد تم توقيع معاهدة الطائف، وبرز الصلح، سمع جميل مردم، ثم قال لنا:

- اسمعوا إن هذا العمل العظيم لا يتحملة ولا يقوم به إلا الرجل العظيم (عبد العزيز بن عبد الرحمن).

وإليكم ما قاله فيصل بن الحسين عن سلطان نجد - يوم ذاك - عبد العزيز بن عبد الرحمن فلقد احتل «الجنرال غورو» دمشق، وأجلى الملك فيصل بن الحسين عن عرشه، وكنا في يافا «فيصل بن الحسين» وحيدر رستم، وعبد الرحمن الشاهبندر، وتحسين قدري، وجميل مردم.

- فقال فيصل بن الحسين:

- ماذا ترون أن أفعل؟

- قلنا ذاك رأيك وعزمك.

قال:

سأذهب إلى أوروبا، أحاول أن أسترجع ما فقدت فإن لم يحالفني التوفيق، فلن أذهب إلى والدي في مكة، ولكنني سأذهب إلى الرياض إلى سلطان نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن فهناك الأمل يتحقق به خير كثير للعرب.

هذا الحديث أدلى به جميل مردم، نشرت فحواه أكثر من مرة، أذكره الآن في سياق التمام لكلمة الافتتاحية.

والكلمة الخامسة قالها الأمير شكيب أرسلان، ونشرت في جريدة الشوري التي كان يصدرها في مصر الكاتب الفلسطيني محمد علي الطاهر.

- قال شكيب:

لقد عدنا من جزيرة العرب، فتركناها أمانة في عنق هؤلاء الثلاثة عبد العزيز بن عبد الرحمن ملك المملكة العربية السعودية، والإمام يحيى صاحب السلطان في اليمن، وعبد الله بن الوزير.

وثنى الأمير شكيب أرسلان بكلمة أخرى قرأتها في رسالة بعث بها إلى الشيخ محمود شويل في المدينة المنورة قال:

إن عبد العزيز قد حمل الأمانة والمسؤولية، فلن يأتي منه عمل يضر، بل سيكون منه النفع.. إن ثقتي في الملك عبد العزيز لا حد لها.

ولعلّي أكون صريحاً، فما كتب الأمير شكيب إلى صديقه محمود شويل عرفه في الآستانة وجرت بينهما مكاتبات، أهمها الدفاع عن صحيح البخاري، كانت الرسائل المتبادلة في أيام الخطوات الأولى عن مفاوضات التنقيب عن البترول وامتيازات البترول.

لقد وثق الشيخ محمود بكلمة شكيب، وكان أكبر ثقة بالملك عبد العزيز، وجاءت الأيام يتحقق فيها وبها ولها صنيع عبد العزيز، تفجرت الأرض ينابيع للخير، وارتفع على الأرض عمران، وانتشر العلم وبرزت أعمال، عمت بها الخدمات في كل مجال.

كتبت هذا تسجيلاً للتاريخ وتبجيلاً للبطل ليس فيه شيء من التدجيل، وإنما فيه شيء من حمدنا نحن جيل التجربة وشكر قارئ اليوم من جيل الشكر.

اليَمَامَة

ومجلة الدارة تصدر في حِجر اليمامة «الرياض». فمن حق المكان الذي تصدر فيه المجلة أن يكون لي كلام عنه.

إن دارة الملك عبد العزيز أصدرت المجلة. وشرفت أن أكون رئيس تحريرها. أباؤوا لي أن تصدر في جدة تخفيفاً عني. فأبيت إلا أن تصدر في الرياض فرعاً من الدارة. دعامة للدارة. ويحملني الكلام عن اليمامة عن قيمة الأرض. أي الوطن. ذلك أني أريد إسقاط المذمة عن قطعة أرض من أرضنا. فالأرض لا تُعاب. وبعيد عنها السباب. فلئن تجني إنسان في أي بقعة من الأرض. فهو الذي يُعاب ويستأهل السباب. ففي إقليم أساء المشركون. وفي آخر أساء المنافقون. وارتد مرتدون. ونبح كاذبون ادّعوا النبوة. لقد ذهبوا بمعابتهم حين نصر الله الحق وأعز الله العرب بإسلامهم. كما اعتز العرب به. أسقطوا ما بينهم من خلاف. وارتفعوا عن الانفرادية القبلية. فإذا الإسلام يعتز بهم، فما من شبر على هذه الأرض، وما من قبيلة من قبائلها، إلا وكان منهم ومنها قادة الجهاد وجنود الجهاد.

فاليمامة يأخذني الكلام عنها على صورتين، الأولى عن رجلين هما: هوزة بن علي، وثمامة بن أثال، حنفيين يماميين، هوزة بن علي كان منه المدد لرسول الله ﷺ. أرسل الصدقات من حنطة اليمامة وغيرها، فأخذ

رسول الله ﷺ محمد القرشي المضري العدناني يقلب الحنطة بيديه ويقول:

هذه صدقات ابن عمي؛ لأن هوزة بن علي حنفي وائي من ربيعة الأخ الأصغر لمضر، فمضر الحمراء، وربيعة الفرس أخوان، تفرع منها الكثير، حين ائتلفوا سادوا، وإذا ما اختلفوا كان واقعهم أليما. فالحنطة التي أرسلها هوزة بن علي تعني العون منه، يشكره النبي، ومنع هذا العون لقريش ينال منها بعض الشظف؛ لأنه إضعاف لرحلة الشتاء.

والرجل الثاني هو ثمامة بن أثال. جاء منه الموقف العظيم، كان يحوم حول المدينة على فرسه، فأمسك به حراس النبي، فربطوه في سارية، يمر عليه النبي فيقول له:

- ما تراني أصنع يا ثمامة.

فيجيب ثمامة:

- إن تقتل، تقتل ذا دم، وإن تعف تعف عن شاكرك.

وفي رواية أخرى:

- إن تمنن، تمنن، على شكر.

وفي مرة ثانية يقول له ﷺ ذلك، فلا يجيب ثمامة إلا إجابته الأولى، وبعد المرة الثالثة منّ عليه رسول الله ﷺ، فركب فرسه لا يغيب طويلا، يعود إلى مجلس رسول الله يعلن إسلامه، ويقسم أنه ذاهب إلى مكة يجهر بإسلامه، فقال له الرسول:

- ما حملك على هذا يا ثمامة، لماذا لم تسلم قبل إطلاقك.

فقال الفارس:

- خشيت أن يقال إنني ما أسلمت إلا عن خوف.

وسار إلى مكة يعلن إسلامه على الملاء، فأراد بعض الغوغاء أن يشغبوا عليه، فمنعهم الذين يعرفون ثمامة ومكانته بين قومه، ويعرفون - أكثر - ما لميرة اليمامة لديهم من نفع.

وأقسم ثمامة أن يمنع ميرة اليمامة عن قریش، فأصابهم نقص أعجزهم؛ مما سهل طريق الفتح.. فتح مكة.. الفتح المبين.. فصنيع ثمامة - يؤازره قومه حين أطاعوه - من الدعامة القوية؛ أسهم بها ثمامة في فتح مكة.

وكانت الردة، كأنما وحدة العرب في ظل الإسلام قد انفرطت في أكثر من مكان، وفي أكثر من قبيل، ولكن الله منّ على عبده أبي بكر الصديق، صاحب الثلاثين شهرا، أعاد للعرب وحدتهم فعادت للإسلام عزته، فإذا الفتح العظيم، بعد الفتح المبين.

ثم: وفي العصر الوسيط يوم تفرق المسلمون تحت زعامات وملوك وطوائف، ضاع من العرب السلاح، وعادوا إلى صحرائهم يحتمون بها، فإذا التاريخ يعود، بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وشيخ الأئمة لآل سعود، فإذا اليمامة تحتضن دعوة السلف، تصل بنا إلى وحدة الكيان الكبير مما هو معروف، قد يكون الكلام عنه في ظرف آخر؛ حيث تكون الفرصة سانحة، الكلمة عن هذا الكيان الكبير «المملكة العربية السعودية» وحّدها البطل الإمام السلطان الملك «عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود».

الفتح انتصار . . والانفتاح انتشار

وأعني بالفتح انتصاراً. هو انتصار الإسلام بالجهاد، أما الانفتاح فانتشاره بالدعوة، وارتفاعه بالحضارة والعدالة.

إن الجهاد كان دفاعاً عن هذا الإسلام في أول مراحل، فالحرب على الشرك كانت في أول أمر هذا الدين دفاعاً، أول ما وجه على المشركين من قريش، فهم الشوكة والصولة، اللتين انتصر عليهما الجهاد بقيادة المجاهدين الأول، والأول من أولي العزم، الرسول النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

فالجهد قرآن في الوجدان. وإيمان كذلك وتضحية وسيف وفارس مؤمن، ثم تلت مرحلة من مراحل الجهاد شملت الغزوات والسرايا، وكان كل ذلك موجهاً إلى بعض القبائل العربية التي مازالت على شركها، وتمت هذه المرحلة بالفتح المبين، حين جاء نصر الله ودخل العرب في دين الإسلام أفواجا.

ومرحلة بعد ذلك لم تكن حرباً على إمبراطورية الفرس وإمبراطورية الرومان، في العراق والشام وفي مصر وحتى في اليمن، فقد أرسل رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام لكسرى خطاباً ولقيصر خطاباً وللمقوقس خطاباً يدعوهم إلى دين الله، فمن هذا الوضع أبداً، أ طرح السؤال والإجابة، فلو إن كسرى استجاب لهذه الدعوة، ولو أن القيصر فعل ذلك،

ولو أن المقوقس شد عزمته يستجيب، لما كانت القادسية، ولما كانت اليرموك، ولما كانت حرب جهاد لفتح مصر، فلو استجابوا لَمَا كان السيف، وإنما ليكون القرآن ولتعلو على المنابر كلمة التوحيد.

إن الفتح العظيم قد أجلى الفرس والروم عن الأرض العربية، فإذا الإنسان العربي يعتز بكلمة التوحيد، ويتنصر بتوحيد الكلمة، لكن هذا الفتح وإن توسع في الأرض سواء في جزيرة العرب أو حولها، فإن الذين دخلوا في الإسلام على كثرتهم وعظمتهم هم في الواقع أقل من الذين أدخلهم المجاهدون، سلاحهم كلمة التوحيد وآيات الكتاب المبين، فالذين أسلموا في الشرق الأقصى في الهند وفي أندونيسيا وفي الصين لم يخضعهم السيف وإنما هم خضعوا لكلمة التوحيد حين استنارت أفئدتهم بالموعظة الحسنة، وبخلق الداعية، لا يمسكون عليه شائبة، فإذا التقوى من الدعاة تقوى بها قلوب المستجيبين من هؤلاء، ملايين ارتفعت أصواتهم على المآذن والمنابر والمحاريب وازدحمت المساجد بالركع السجود، وكذلك المسلمون في أفريقيا، فالجهاد فتح شمالها وأندلسه.. أما الدعوة فهي التي نشرت الإسلام في هذه القارة السمراء.

واليوم نشاهد الواقع، غزو على الأرض المسلمة بالتبشير والتكفير وإفساد التفكير، سلاحها الأشد التقاعس عن الجهاد وتنابد الزعامات والتمذهب بما يدعو إليه الإلحاد وما تحدث به الفوضى، كما نشاهد الواقع من الناحية الأخرى، إن تعطيل السيف ضد عدوان الغزاة قد واكبه انتشار الإسلام بالدعاة، فما أكثر من يسلم اليوم في قلب القارة الأوروبية والأمريكية، التبشير يستغلون في الأرض المسلمة، والانتصار يعلو في الأرض التي سلحت الغزاة، بل وكانت أول الغزاة.

الفتح العظيم انتصر بالسيف . والانفتاح الأعظم انتصر بالدعوة إلى هذا الدين ، ليس هذا بحثاً تاريخياً، وإنما هو لمحة عن الواقع ، غير أنني أقول الكلمة الأخيرة عن غزو العدو ينشر التبشير والتكفير وإفساد التفكير ، فلم يكن انتصاره بالقوة والوسائل التي يمتلكها ، وإنما بضعف القوة الذي يملك من استجاب له ، وما أحسن الكلمة . . قالها الشيخ حسن البنا يرحمه الله ، يوم كانت مصر ثائرة على الاستعمار الإنجليزي ، قال : (أخرجوا الإنجليز من قلوبكم ، يخرجون من أرضكم).

ضعفنا هو القوة الأولى لعدونا ، غير أن التفاؤل في المستقبل قوي ، لأن الشعور بهذا الواقع والإعراب عنه وصحوة الشعوب والقيادة الصالحة يتحقق بها التفاؤل نصراً بالسيف على العدو الطاغية ، وانتشاراً للدعوة على يد الإخوة الذين يدخلون في دين الإسلام أفواجاً .

والمملكة العربية السعودية وبوحدة هذا الكيان الكبير ، وقد تمسكت بعقيدة السلف ، كلمة التوحيد ، وتوحيد الكلمة ، لا بد من أنها تعطي التفاؤل معناه ومبناه ، إن الإسلام الذي امتد في الصحراء وانتصر بأبناء الصحراء ، يتحقق به الأمل ، إن أرضنا حصن الإسلام ومعقله أمل . . أسأل الله أن يتحقق بالعمل جهاداً ودعوة وبذلاً وعطاء بلا منّ ولا بطر .

أدب اللغة الشاعرة

لغة العرب، أو اللغة العربية، ما أحسن وصف القرآن لها (بلسان عربي مبين)، فلئن تأقلم العرب كل وأرضه، ولئن اختلفت اللهجات على صورة من العامية؛ فإن اللغة العربية هي الجامع لا تتأقلم، فالقبائل في الجاهلية اختلفت بعض لهجاتها واختلفوا كل قبيل حرباً على قبيل، ولكن الفصحى بقيت لأن القرآن هو الذي أبقي عليها، والكلمة لطفه حسين «رحمه الله» قال ما معناه:

- لا أخاف على الفصحى فإنها باقية بقاء القرآن.

والقرآن خالد، باقٍ إلى يوم يبعثون، ومعنى ذلك أن اللغة الفصحى باقية إلى يوم يبعثون.

لا يتفاهم العربي مع العربي إلا بها، لا يكتب العربي ولا يقرأ إلا بها، كم هي عظيمة حينما جعلت الفارسي (سيبويه) إماماً بها، وابن المقفع والجاحظ وأبا نواس وابن الرومي طلائع أهل البيان ناثرين وشعراء. فاللغة بل الأرض تُعرب وتُفصح، والأرض بعد اللغة يستعرق بها التعرب.

- لماذا أكتب ذلك؟

أكتب لأنني لا أريد للأدب العربي أن يكون لابسا عمامة الجاهلية، ولا عقال العرب في الصحراء، ولا (جاكت) العرب في الأمصار الأخرى.

فالأدب العربي لباسه واحد، لغته شاعرة، حارسها القرآن.

فما قالوا عن شعراء المعلقات إنه أدب نجدى، وإن قالوا إنه أدب جاهلي، وما قالوا عن الشعراء في الحجاز وفي العراق وفي مصر والأندلس والشام واليمن إنه أدب ينسب إلى الإقليم، ما قالوا أدب أندلسي، ولا أدب مصري، ولا عراقي، ولا غير ذلك، وإنما قالوا ونقول: شاعر حجازي، عراقي، أندلسي، مصري.

الشاعر ينسب إلى وطنه، أما الشعر، فلا ينسب إلا إلى لغته، كل أدب الأقاليم أدب اللغة العربية.

كان أول التقسيم للأدب حين قالوا: أدب الجاهليين، أدب المخضرمين، أدب المحدثين، فلم يقولوا عن شعر امرئ القيس إنه شعر أسدي، أو شعر كندي، ولم يقولوا عن شعر عمرو بن كلثوم إنه شعر تغلبي، وهكذا في كل هؤلاء.

ولم يقولوا عن شعر حسان والعذريين إنه شعر حجازي، كما لم يقولوا عن شعر بشار ومن إليه إنه شعر عراقي. كذلك لم يقولوا عن «السموأل» إن شعره يهودي، ولا عن «الأخطل» إن شعره نصراني.

ألم يكف العرب التمثهه اجتماعياً وعقائدياً، حتى بدأوا يتمذهبون بإقليمية الأدب.

إنه الأدب العربي ولا شيء.

رأي أطرحه، ولن أبرحه، وسيأتي زمن الصحوة من هذه الجفوة بين العرب فيعرفون بالصفوة صحة ما أدعو إليه.

انتصار الفصحى، وأمية الأدب العربي.

عبد العزيز في مسيرة التاريخ

لا يمضي وقت قصير أو طويل إلا ويجد المتتبع لسيرته الجديد والعظيم، فالإمام السلطان الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود تاريخ لا سيرة لأنه لم يكن لنفسه، ولا لأسرته، بل كان لقومه العرب.. لأمتهم المسلمة، لأن وحدة هذا الكيان الكبير، المملكة العربية السعودية من سجل التاريخ عربيا ومسلماً.. وهبه الله القلب الكبير، والمواهب المتعددة.. وقد تجلت هذه المواهب حين دفعته إلى أن يتحرك، فإذا هو أحد المجتمعين.. فكان من نعمة الموهبة هذا الكيان الكبير. والجديد الذي أستلهمه من تاريخه هو أنني طرحت على نفسي هذا السؤال؟

- لماذا انتصر عبد العزيز، وكيف انتصر، وما هي عوامل النصر؟.. فإذا بي أهتدي إلى رأي أطرحه إضافة إلى ما كتبه من قبل، هو أن النصر الذي أنعم الله به عليه قد انتزعه من عوامل الهزيمة.. كيف؟..

- لقد ذاق المرارة حين بُعدت الرياض عنه وابتعد عنها، فكانت هذه المرارة الحافز له أن يتحرك، فانتزع النصر من مخالبتها.. فاسترجع الرياض.. بالكم القليل والكيف العظيم.. إخلاصه لما يطلب، وإخلاص الذين معه لتحقيق المطلب..

- وجاءه النصر بعد ذلك تباعاً، معركة بعد معركة.. لم يتخاذل إذا

كانت هزيمة، ولم يتبطر إذا كان نصر، فهو بين الحالين، الصبر والحمد، والشكر والفعل.

- وكان النصر على أمراء البلدان من قوة صلابته وصدق نيته. ومن تخاذل هؤلاء.. كل أمير بلد ييسط سلطانه على مدينته، فلا جامع بينه وبين أمير آخر، عرفوا أنه سيصل إليهم، يجمع المدينة على سائر المدن، فكل واحد منهم صرّ نفسه على ما يملك من سلطان. كانوا متفرقين، فتناولهم واحداً بعد الآخر.. تخاذلوا فلم يجتمعوا، وتفرقوا فلم يتحدوا، فكان ذلك عامل الانتصار للملك عبد العزيز، فلو توحدوا في جيش واحد لصعب الأمر على الملك عبد العزيز.. فالفرقة والتنافر والتناحر بين هؤلاء الخصوم كان من أهم عوامل النصر له عليهم.

- ولأفترض أنه لو اجتمع هؤلاء لما كان النصر. ولأضرب أمثلة سبقت في تاريخ العرب، فالمثل الأول أضربه - ولله رب العزة والجلال المثل الأعلى.. واهب النعمة والانتصار قبل كل شيء - هذا محمد، لم تتحد قبائل العرب الوثنية المشركة. ولم يتصرف اليهود بأية مقاومة ضد هذه الرسالة المحمدية، تفرقت قبائل العرب، ومعهم اليهود، ينتظرون ماذا يحدث في مكة، فكانت هذه الفرقة أجلا حتمه الله ليكون النصر للإسلام، وليدخل الناس في دين الله أفواجا..

والمثال الثاني حين لحق رسول الله بالرفيق الأعلى، توفاه الله، وبويع أبو بكر بالخلافة، انقلبت قبائل العرب إلى الردة، فمنهم من ادعى النبوة، ومنهم من منع الزكاة، ومنهم من تخاذل عن الجهاد، فإذا الإسلام على مفترق الطرق، لا بد من الجهاد للنصرة، فنهض بالأمر الإنسان البكّاء، ضعيف البنية، صادق الإيمان، الصديق أبو بكر، فإذا هو ينتصر وتتوحد

العرب، ويسيطرون للفتح العظيم، تم ذلك في ثلاثين شهراً، فلو أن مسيلمة وسجاح، وطليحة، ومالك بن نويرة، أعني لو أن بني حنيفة وتميما وأسداً وغطفان ومعهم تغلب بقيادة (عقة) لو أن هؤلاء اجتمعوا في جيش واحد بقيادة موحدة، فهل كان يتم النصر لأبي بكر بما تم؟ إن كل واحد من هؤلاء جلس في إقطاعه، يريد الزعامة وحده، فتفرقوا فإذا النصر للإسلام.

وهكذا أتيحت الفرصة، بل كل الفرص للملك عبد العزيز أن ينتصر على كل خصيم وحده، فأتى نعمته الوحدة في هذا الكيان الكبير.

- إن الملك عبد العزيز، بعد أن تم له هذا الانتصار، عرف من حوله، وما حوله، وما هو له، وما هو عليه، فأول المعرفة عِلْمُهُ بمواقف الدول الغربية، عرف أنها حرب على أي تجمع مسلم أو عربي، فرفض أي رأي يدعو إلى أن يكون خليفة، لأن دول الغرب قد قضت على الخلافة، وحاربت من يديها، فصان نفسه عن أن يكون هدفاً لدول الغرب، لأنه يعرف تاريخ إنسان اليوم، فتجنب كل ما يثير عليه المشاكل، فإذا المملكة تسير بخطى واسعة، أسقطت سبة الرجعية التي كان فيها السباب عليها، فإذا هي اليوم شعب تقدمي، ودولة تقدمية على أساس من العقيدة الإسلامية التي تعانق القومية العربية، والتي ترفض كل قومية إقليمية وتحتضن الدول الإسلامية.. وتحنو عليها.. حنو الأم على رضيعها.

أما ما صنعه بنوه الملوك بعده، ويحسب من صنعهم مباشرة، فإنه في حساب التاريخ لا بد من أن يكون في سجل البطل، ولو لم يباشر صنعه.

والتخاذل والفرقة ذكرنا أنها من عوامل انتصار الإسلام على أعدائه، وعلى الردة، كما أنها من عوامل الانتصار للملك عبد العزيز.

أما واقع اليوم، فإن الفرقة بين العرب أعطت لأعدائهم الانتصار

عليهم، فـقوة اليهود لا ننكر أنها في السلاح، لكن الأكثر من القوة المسلحة، هو ما أعطاه العرب؛ حين تفرقوا فتفوق اليهود، وأصبحوا قوة تهدد الأمن والسلام، فهل آن للعرب والمسلمين أن يتحدوا ويحققوا الأمل والرجاء؟..

الملك عبد العزيز والمؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله أكمل الدين وأتم النعمة، والصلاة والسلام على رسول الله نبي الرحمة وعلى آله وصحبه أجمعين . .
أما بعد . .

فبوازع الحمد والشكر، تعودت هذه المجلة «الدارة» أن تخرج عدداً خاصاً، تواكب به النشاط الذي تنهض به جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فقد أصدرت عدداً خاصاً عن مؤتمري الفقه والجغرافيا وما أشد أن تلزم به نفسها إلزاماً يحتمه عليها أنها المجلة التي تحمل اسم «الدارة» أعني أن المؤسسة دارة الملك عبد العزيز هي التي تصدر عنها كوجه بارز لهذه المؤسسة .

إن المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز لا بد من أن المجلة ترى من حق التاريخ، ومن الواجب عليها لتاريخ الملك عبد العزيز، أن تصدر عدداً خاصاً يضم ما يمكن نشره من البحوث التي أقرتها اللجان، لأن نشر هذه البحوث كاملة وإن كان لا يخضع للانتقاء فليس بعد قرار المؤتمر انتقاء، وإنما ظروف المجلة تخضعنا، بالاختيار والمسيرة تباعاً بنشر ما لم ينشر، وحرصنا أن يكون محققاً للصفة العالمية بحيث لا تنحصر البحوث في أساتذة معينين .

إن المجلة في نشرها كل ما صدر عن المؤتمر من بحوث مختلفة، إنما تحقق بذلك صفة العالمية لهذا المؤتمر.

وليس من المتسع أن تنشر كل ذلك دفعة واحدة، لأن الحجم كبير جداً والحرص كل الحرص على متابعة النشر في أعداد مقبلة لأن النشر بهذا يكون ممتداً بالمتابعة، ثناء ونقداً، كما هو بالأعداد المتوالية من المجلة، ويعني ذلك أن نحفل بالنقد أكثر من الثناء، لأنه استمرار لحياة المؤتمر، فقد يأتي ناقد ببحث جديد يكمل به بحثاً نشر، أو يعترض على بعض ما نشر ولعلّي بَعْدُ. . ودارة الملك عبد العزيز أصبحت مؤسسة إسلامية باسم «مؤسسة الملك عبد العزيز الإسلامية» أن أذكر ما يلي:

١ - قد يتغير اسم المجلة، أو تبقى على اسمها منسوبة إلى المؤسسة، ذلك يعود إلى من له الحق في ذلك. .

٢ - وهذه المؤسسة حين تبدأ عملها بالصورة التي يقررها صاحب الحق، لا بد من أن تحدد أهدافها، فمن ذلك ما أرجو أن يكون من بين هذه الأهداف: إقامة ندوات أو مؤتمرات، كل عام على الأقل. . يدعى إليها المؤرخون. . يشاركون في الندوة أو المؤتمر ببحوث عن تاريخ العرب قبل الإسلام، وعن العرب بعد الإسلام، عن الخلافة، وعن الإمبراطوريات، وعن الطوائف، تُوضّح أسباب التفوق، وأسباب الضعف، وأدعو ألا يكون مجرد عرض لما كتب من التاريخ، وإنما هو العرض لفقه التاريخ والاستنباط من التاريخ. .

٣ - وهناك دعوة للعودة يكتب فيها التاريخ جديداً، وهذا فيه إنكار للتراث، أو محاولة للتشكيك فيه. . فتاريخنا كتب فلا حاجة إلى أن يكتب جديداً، وإنما الحاجة إلى الفقه لأسباب الأحداث ونتائجها. . فمثلاً:

- إمبراطورية أمية، تاريخها كتب، ولكن من فقه هذا التاريخ أن نحدد أسباب الزوال لها، كما نحدد الدواعي التي أشعلت الشعوبية، فاشتعال القومية العربية في عهد أمية كان مبعث القوة لها أول الأمر، وباعث الضعف لها في نهاية الأمر. كما باعث القوة للشعوبية، تلك القوة الخراسانية التي نصرت العباسيين وأسقطت بني أمية، فالدولة العباسية كنسب في قمة العروبة، ولكنها لم تكن إلا دولة شعوبية انتصرت بقوة الشعوبية، وازمحل بها القومية العربية.

- هكذا تكون الدعوة للباحثين تأتي بحوثهم على هذا الأساس فقهاً واستنباطاً.

٤ - كما أن المؤسسة سيتسع لها المجال في طبع الكتاب النادر، والبحث المتفوق، وجمع الوثائق، والتوسع في نشر الوثائق والمخطوطات.. فإن لم يكن في الماضي إعداد لحفظ الوثائق والمخطوطات حتى ذهب أكثرها إلى الغرب، فإن وسائل الصون والحفظ أصبحت متاحة لدينا.. فلنشر ما سرق منا، لأنه أولى بنا أن نحفظ تراثنا الذي حفظه المستشرق، بشراء أو بأي أسلوب آخر..

وهناك الكثير والكثير مما ستقوم به هذه المؤسسة التي نرجو أن تكون لها آفاق واسعة، وطموحات عديدة، وأعمال مديدة لخدمة الإسلام والمسلمين..

والله ولي التوفيق..

التاريخ المجغرف

وجرى حديث بيني وبين الأخ الدكتور/سامي خماس الصقار، عن معرفة مكان الحدث التاريخي؛ فأكثر تاريخنا الذي كتب واتسعت له الأمهات من تلك الموسوعات، كان مقتصرًا على شرح الحوادث لا يجغرفها - لا يصف المكان ولا يحدده.

غزوة بدر مثلاً فصلتها الرواية، وسجلتها كتب السيرة، وحفلت بها موسوعات التاريخ، ولكن أين المكان؟.. أين الوصف للأرض وطبيعتها؟.. وغزوة الأحزاب شأنها شأن بدر.. الخندق.. النسوة على الجبل.. الأحزاب في مجمع الأسيال.. كل هذا تعريف في الغزوة لا يحتاج إلى كتابة جديدة، لكن الحاجة تدعو إلى الجغرافية الجديدة.

بدر في المنحنى لمجرى وادي الصفراء، يسير مغرباً حتى إذا حجزته التضاريس من تلال الرمل والجبل، استمال منحدرًا ليستميل مغرباً بعد.. المكان أوحى - كموقع «استراتيجي» - بالتكتيك لإدارة الحرب، فالحجاب بن المنذر كان عسكرياً بمعنى الكلمة، سمع رسول الله ﷺ رأيه، فإذا هو على التل في أعلى الوادي لا يناله هذا السيل، فألزموا المشركين من قريش أن يكونوا في أسفل الوادي، وتأتي رمية الله (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) ينزل المطر غيثاً، أغاث النبي وجيشه، وتعويقاً لقريش؛ لأنها في

أسفل الوادي، تتلبد الأرض تحت البعير والحصان، كأنما الحصان والجمل يتعثران في الطين، يعجز المشرك عن الغارة فإذا هو النصر، القلة تنتشر على أرض صلبة، والكثرة تتعثر على أرض رخوة.. كان هذا التكتيك، وكانت تلك الاستراتيجية رأي البشر، ولكن التوفيق من الله.

ألف بعير، سبعون فرسا.. ألف فارس.. هزموا؛ لأن المكان كان طليعة الهزيمة ولنقل إنه الميدان.. ثلاثمائة وثلاثة عشر فارسا تحت قيادة رسول الله، وفرسان وسبعون بعيراً، أعطاهم المكان الصلب قمة النصر، أفلا يحتاج ذلك إلى جغرفة؟ فالتاريخ لا يتسع فهمه إلا إذا جغرف.

وغزوة الأحزاب.. كانت الحماية في الخندق.. هكذا الرواية.. بينما الحماية أكثر.. كانت بالجبل سلع، كان الرسول وأصحابه غرب سلع، والخندق أمامهم، يحجز الكثرة أن تغير.. فالجبل سلع يصد الصبا.. لأن هذه الغزوة كانت في أيام شاتية، وعندما تهب الصبا من المشرق تتعب وتكره، لكنها - أعني الصبا - وقد صدها الجبل سلع، كانت من أسباب الراحة للجيش المسلم، وهذا يفسره قوله ﷺ:

(نصرت بالصبا وأهلك عادي بالدبور).

أما الصبا فكانت جالبة النصر على صورتين، راحة النبي وأصحابه، والكرب الكارب على المشركين؛ لأنهم كانوا في فسيح من الأرض.. في مجمع الأسياح.. بروما البئر التي تجتمع حولها الأسياح.. قناة من الشرق وأبطحان من الجنوب وسط المدينة والعقيق من الجنوب بين الجماء وحره واقية.

وهبت الصبا تزعج المشركين.. تكفأ قدورهم.. تقلع خيامهم، فإذا هي الراجفة.. حتى إذا أرجفوا وخذلهم اليهود وأجمعوا أمرهم.. يصرفهم

الله بالخندق.. أعجزهم صنع البشر، كما أزعجتهم الصبا.. تدبير الذي
أتقن كل شيء..

إن قارئ الحدث لكتب التاريخ لا يعرف الموقع وما جرى للواقعة،
لأن الرواية لم تجغرف لها.

وهناك ملاحظة أخرى في تحديد الأيام، فالرواية تقول: خرج الرسول
ﷺ إلى بدر، وصل بدرًا، استعد للقتال.. ولكن كم هي الأيام.. قبل
السابع عشر من رمضان.. متى علم أبو سفيان بنواضح يثرب؟.. متى
وصل الخبر إلى مكة؟.. كم يوما مضى حتى استعد المشركون؟.. وما
عدد الأيام.. التي أوصلت الخبر؟ والتي جمعت فيها قریش أمرها.. كم
يوما مضى على نجاة العير.. إذ نجت، وهي غير ذات الشوكة.. وكم
يوما مضى على النفير.. حتى وصل؟.. وهل رسول الله وصل بدرًا قبل
السابع عشر من رمضان؟.. وكم هي الأيام؟.. وما هو وصف الطريق
الذي سلكه رسول الله؟.. وهل هو الطريق الذي سلكته قریش؟.. كل
ذلك يحتاج إلى جغرافية وصفا وتصويرًا، وقل مثل هذا في اليرموك،
والقادسية والغزوات الأخرى وحتى السرايا، وأنا إلى اليوم.. بح صوتي..
أطالب وزارة الزراعة، والجامعات، وصاحب كل شأن في ذلك، أن
يجغرف لنا الوديان والواحات.. فهذا كتاب «صحيح الأخبار» لابن بليهد،
ما أحسن أن يجغرف، يطبع بجغرفة الخرائط.. أعرف اسم الوادي ولكني
لا أعرف مسيلها الأول، ومجراه بعد، ومصبه، وروافده.. كل شيء أصبح
مكشوفًا، وأرض الكيان الكبير قد مسحت من الجو، فجغرفونا لندفع عنا
الجهل، بعلم نعرف به كل أرضنا.

ولم يطل الحوار بيني وبين الدكتور سامي، حين زارني في الدارة، إلا

على أبسط صورة مما كتبت، وقد سره مني حين ذكرت شعر سديف مولي
بني العباس حين قال:

.. وقتيلا بجانب المهراس ..

- قال:

محمد بن الحسن، النفس الزكية: لا أظن ذلك، فما المقصود إذن؟

- قلت: لا.. ولا.. لم يكن حين قتل بجانب المهراس، فقاتله
المنصور تولى الخلافة بعد قول سديف بسنوات، مدة أخيه السفاح، إن
القتيل بجانب المهراس أكاد أظن أنه (حمزة بن عبد المطلب) فالمهراس
داخل أحد، ولعلي أميل على ثقافة أستاذنا حمد الجاسر.. لعلّي أجد عنده
التصويب.. أو التخطئة لأعرف اليقين منه، كما عرف اليقين عن جبل
رضوي، وكما عرفت اليقين منه حين أخطأت فصوبني؛ فقد سمعت حسن
الكرمي في إذاعة لندن في برنامجه «قول على قول» سألوه عن هذا البيت
«لتأبط شراً» وعن الجبل سلع، في قوله:

إن بالشَّعب الذي دون سلع لقتيل دمه ما يطل

الكرمي أجاب: بأنه سلع البتراء في البلقاء (الأردن) وأخذت نفسي
أخطئ الكرمي أقول:

إن تأبط شراً.. هذا الهذلي، ما شأنه والبتراء في الأردن، لا بد أنه
أراد سلع المدينة وسألت أستاذنا حمد الجاسر عن هذا الذي قلت، فقال
الجاسر بجسارة العالم..

الكرمي أخطأ وأنت أخطأت.. إن تأبط شراً، ذكر سلعه، الجبل في
هذيل.. كأنما عندنا السلع المثلث (البتراء - المدينة - هذيل).

لو كانت لدينا جغرفة لأرضنا، أضيع اسم رضوي.. وهو أمامه في
ينبع.. من معرفته؟.. ولا أعرف أن في هذيل جبلا اسمه سلع؟
إنني أدعو أساتذة الجغرافيا أن يجغرفوا التاريخ.. الأرض، والوادي،
والجبل، والواحات، والعيون والآبار التي حفرت بالإزميل وما أكثرها
حزينة، لأنها ما زالت مجهولة لا نعرف مجد من حفرها، وهم من أهل
هذه الأرض، ولعلّ مهرجان التراث في الجنادرية ينتصب لهذه الجغرفة.

الدَّارَةُ . . أول رَوَافِد

مؤسسة الملك عبد العزيز الإسلامية

وإذ أكتب عن مؤسسة الملك عبد العزيز الإسلامية فإني أشرف برؤية واضحة لهذه المؤسسة، وما كان ذلك مني انتسابي إليها كأحد أبنائها، وبالأحرى كأحد خادميها، إنما أكتب عنها عضوا في مجلس أمانة «دائرة الملك عبد العزيز» وك رئيس تحرير لمجلتها، لهذا لا أكتب من فراغ، ولا عن تفرغ، فدائرة الملك عبد العزيز ومجلتها نواة لمؤسسة الملك عبد العزيز الإسلامية، أو هي بالأحرى الرافد الأول لها، فمؤسسة الملك عبد العزيز جماعة، جامعة، تسترشد كل الروافد، لا تفرق ولا تبدد، بل هي تبني بالتطوير، ولا تهدم بالتغيير، فما من مؤسسة إلا وهي رافد بالاتساق والتنسيق، وحتى الارتفاق.

الجنادرية رافد، والآثار ومعالم العمران في مشروع الرياض بين الأمس واليوم رافد، فالعرض له يعطيه أنه من المؤسسة ولها وبها وعنهما، لأن الملك عبد العزيز كل ما في هذا الكيان الكبير هو له - وهو به، فالمؤسسة الجديدة إعراب عن الوفاء له، لأنه جاهد فإذا الكيان الكبير «المملكة العربية السعودية» هي بكل شيء.. وقبل أي شيء.. وبأي شيء.. مؤسسة الملك عبد العزيز.

إن مجلة الدارة، ومجلسها وأمانتها، ما هي إلا النواة والرافد.
من هنا أرجو أن تكون الدارة الأمانة والمجلة، قد أعدت نفسها لتكون
عطاء للمؤسسة، لأنها من عطاء المؤسسة.
كل شبر في هذه الأرض لا بد من أن تحته تاريخا، وفوق ترابه مجداً،
فكان عمل عبد العزيز، الإمام، السلطان، الملك، هو الذي قال للتاريخ:
تكلم، وقال للمجد: ارفع رأسك.
يرحم الله الملك عبد العزيز، أقوى سلاح في يديه، الأمن والأمانة في
ظل كلمة التوحيد. ويحفظ الله جلالة الملك «فهد بن عبد العزيز» الذي
يحافظ ويصون تراث الآباء والأجداد..

المَرابِد

وهي كلمة كتبناها من قبل ، عنوانها الموجز يتسع لإطناب يحوي تاريخ أمة العرب ، أمة الإسلام ، كان عنوان (قواعد الفتح قواعد العلم) ، أفليس العرب بإسلامهم فتحاً ومازال؟ ومن كان إسلامهم علماً؟ وإسلامهم على صورة تعبير العصر أرسل للدنيا كلها الحضارة الوسيط في الأمة الوسط ، ولم تكن إلا من تراث أمم ورثتها اللغة الشاعرة فأرسلتها إلى كل الدنيا بلسان عربي مبين . فلئن كان المصدر أعجيباً من كل اللغات ، فقد أمسكت به اللغة العربية مترجماً ومهندماً واضحاً . ولكن ما هو المصدر؟ أو من هم الذين تصدروا يعلمون هؤلاء الذين ترجموا ، الذين علموا ، الذين كانوا أئمة تلامذة أئمة؟

إن المصدر هو : المسجدان والمربدان ، المسجد الحرام ومسجد النبي في المدينة المنورة ، ومربد البصرة ومربد الكوفة .

ولكن لنسأل : هل تمر البصرة أعطى علم البصرة اسم المربد ليكون القرين في الكوفة بهذا الاسم أم أن حصافة وثقافة الإمام في البصرة والكوفة أخذوا اسم المربد من ذلك الاسم ، ألا وهو المربد الذي كان ثم أصبح المسجد النبوي . كأنما المربدان في العراق قد استعرقا يرثان المربد في المدينة المنورة؟

وسؤال آخر: هل هناك كاتب حرف اتسعت ثقافته إلا وعليه بصمة
المسجدين والمريدين؟ وفطنت بغداد تقيم احتفالاً في ٢١ نوفمبر تحت اسم
المربد، كأنما بغداد وهي على حق أعلنت أنها الوارثة والمورثة للمرابد الثلاثة،
المدينة، البصرة، الكوفة، وهل كانت بغداد إلا وارثة شع منها نور الحضارة
الوسيط، فإذا علم المرابد، أصبح العلم راية رفعتها العروبة على كل معهد،
على كل من حفظ العهد، لا ينكر على بغداد أنها كانت مشرق الحضارة، عربية
مسلمة، ولقد قال شوقي عاشق الشام، من عشقه للإسلام والعروبة.

لولا دمشق لما كانت طليطلة ولا زهت ببني العباس بغدادان

واستدركت على شوقي أقول، لا ناقداً وإنما مستملحاً:

لولا حراء لما كانت دمشقكم:

وليكن النثر بعد، فلولا دمشق لما تم ظهور بغداد، ولولا بغداد لما
ثبتت العروبة ثبات الإمبراطورية في دمشق، لأن بغداد - كدمشق - كانت
عاصمة العاصمة، فما من عاصمة في أرض العرب إلا وهي العاصمة لكل
العرب.

أمة واحدة من مرابدها انتشر العلم، فكيف نصل إلى الفرقة، نحرق
المربد بيد مسلمة وسلاح عربي.

وأخيراً فالمربد في بغداد اليوم هو إعلان الوراثة وعمل التوريث، ليرث
العرب ماضيهم عملاً لحاضرهم أملاً لمستقبلهم، فأى أمة لا تراث ماضيها
ولا تعمل لحاضرها تخسر مستقبلها.

تحية لمربد بغداد أرسلها حيث عجزت أن أكون هناك، فالتحية إكبار
تحمل معنى الاعتذار.

أرضنا صهرت فأبقت على إنسانها

غرقت بين أحلام اليقظة ويقظة التفكير أفكر لأجد موضوعاً أكتبه فاتحة لمجلة الدارة فوجدتني أسأل عن هذه المفارقة بين أرض العرب كلها من الخليج إلى المحيط وبين شبه جزيرة الأناضول، فجزيرة العرب والأناضول، كأنهما جزيرة واحدة الأرض متصلة بالأرض، ولكن ما هي الأسباب التي منحت الأرض العربية أن تقهر غزاتها، لتصهر أنسالهم يصبحون وكأنهم أبناءها، ينسون لغتهم ويتكلمون لغتها، ويعانقون طبائعها وتقاليدها، بينما الأناضول وقد كانت فيما عرفت أرض الحيشيين، حتى إذا احتل الأرض الرومان لم يبق الحيشيون، فانطبعت أرض الأناضول بطابع الرومان، وما زالت القسطنطينية بما فيها من أثر روماني تدل على أن الرومان كانوا هناك، وأن الحيشيين ذابوا، أما العرب فأذابوا.

وتقدم السلجوقيون كبعض ملوك الطوائف، فإذا هم يجعلون الأرض التي احتلوها وعاصمتها قونية أرضاً تركية ذاب فيها الرومان بغلبة الترك ولغتهم. وساد العثمانيون فإذا هم دولة عاصمتها بورصة يحتلون أرضاً لم يبق فيها روماني، فأصبحت تركية سلطاناً ولغة.

أفليست هذه مفارقة تدعوني أن أطالب من هم أعلم مني، أو من هم أقوى مني بأن يثروا هذا البحث الذي أثرته، لإيضاح الأسباب؟

وسؤال آخر، عن وصول جيش يزيد بن معاوية أيام أبيه إلى أسوار القسطنطينية يحاصرها كما وصل إليها جيش مسلمة بن عبد الملك، كلاهما حاصرها - وشهيد الإسلام أبو أيوب الأنصاري شهيد على ذلك. فكيف وصل جيش يزيد وجيش مسلمة عبر الأناضول كلها، يصل إلى الشمال؟ ألم يكن هناك رومانيون قد قاتلوه وقاتلهم فانتصر حتى وصل إلى القسطنطينية؟ أم أن الشعب في الأناضول كان يفتح لهم الطريق ليصلوا إلى القسطنطينية؟ لا بد من الإجابة عن هذا السؤال.

إن أرض العرب غزاها الفرس والرومان والتتار والصليبيون والاستعمار، قهروها حيناً ولكنها ما تقهقرت وإنما هي وبلغتها العربية قهرت وصهرت، فالعراق جار فارس لم يبق فارسياً، واليمن ابتلعت الأحباش والفرس وبقي اليمن يمناً عربياً، والشام طردت الرومان بالفتح المسلم وبتعصب العربي للعربي فما كان الجيش في اليرموك إلا بقيادة رومية وقلة رومية أما الكثرة فعربية. الشام طردت الرومان وطاردت اليهود لأنهم - أعني اليهود - لم يخضعوا لعملية الصهر، فكانوا قلة مغيرة لطبيعة الأرض وطابع اللغة. فأرضنا العربية كما تصهر فإنها تطرد، ومصر قهرت وصهرت غزاتها والشمال الأفريقي كذلك.

ولعل مصطفى كمال قد فطن إلى ذلك، أو استلهمه من واقع الحال لقوة ألمانيا وضعف الأتراك أمام الألمان، فحين أخذت ألمانيا امتياز خط برلين - بغداد لم يفطن الاتحاديون إلى ما فطن إليه مصطفى كمال، فقد كتب في مذكراته عن شرط في هذا الامتياز يعطي الألمان من أول الخط إلى آخره ثلاثة كيلو مترات شرق الخط وثلاثة كيلو مترات غرب الخط، أي إنهم أخذوا من الأرض ستة كيلو مترات شرقاً وغرباً على طول الخط كله،

فقال مصطفى كمال: إن هذه الكيلو مترات تستوعب ستة ملايين ألماني لهم حق السكنى بهذا الامتياز، فهذه الملايين الألمانية كافية للقضاء على الجيش التركي، فهل كانت هذه فطنة مصطفى كمال استوعب التاريخ حيث ذاب الحيشون والرومان بغلبة الترك، ليدوب الترك بغلبة الألمان؟
إنها خواطر أطرحها لأجد من يتوسع، من يخطئ، من يصوب!

ضيم الشعوب . . يلد العبقري

والمتفائلون من كل شعب لا يرهقه الضيم من عدو غاصب أو من تخلف قاهر بالجهل صبه على الشعب. الجهل أو الخلاف أو التمرد على العقيدة أو أي عمل قهر الشعب فتقهقر يعجز عن النهوض، فالمتفائلون هؤلاء يحدوهم الأمل في النهوض ولا يأخذهم التشاؤم إلى القعود فلا تكاد تمضي فترة طالت أم قصرت إلا وينهض نابغة عبقري يرفض الاستكانة للعدم ويستنبط من تاريخ شعبه ومجد أمته الوسيلة تلو الوسيلة، فإذا هو وقد أنهض من حين نهض تترى عليه وسائل النصر كأنما الضيم الذي عاشه شعبه هو الوسيلة الأولى التي انتصر بها أول الأمر على شعبه نفسه، يوقظ النائم ويقيم المقعد حتى إذا تم له جمع الشمل قبيلًا فقبيلًا، مدينة فمدينة يحوز النصر، فإذا هو التقاطع مع الإقطاع والقطيعة ليجد نفسه زعيماً قائداً وليجد شعبه نفسه في الناصر له المجمع لشتاته ليكون الشعب بعد هو المنتصر المهيمن في ظل العقيدة والمبادئ ثم ليجد الشعب نفسه لا يعتمد على الحجر ولا على وسائل القتال ليلفت إلى قيام كيانه شعباً واحداً من أمة واحدة.

ما سبق إنما هو خلاصة موجزة لما كانت عليه المملكة العربية السعودية، فقد عاشت في تفرق الإقطاع وشتات القطيع.

والتاريخ شاهد [وما يوم حليلة بسر] فالضيم الذي ذكرت حَزَجَ العبقري في صهر القهر، فالإمام السلطان الملك عبد العزيز «رحمه الله» كان ولا شك عبقرياً ولسنا بصدد التعداد لمواقف البطولة أو العبقرية، يكفي أن انتصاراته كانت حصيلة الصبر على الهزيمة فما أكثر معاركها التي انتصر بها وما أكثر الهزيمة أحالتها العبقرية إلى انتصار فقد قلنا من قبل إنه كان «يتغمده الله برحمته» ينتزع النصر من مخالف الهزيمة، كما انتزع غنى الدولة من فقر كانت تعيشه الدولة فالهزائم جلبت النصر، والفقر بحث عن الغنى فإذا هو المجمع الموحد لجزيرة العرب الداعية لوحدة العرب، بل هو المثل لدعوة الوحدة ينادي أمة الإسلام أن تكون مأمورة بهذه الآية:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢)
فالآية هذه جاءت بأسلوب الخبر بينما هي بوازع التربية (إنشاء) إنها الأمر أي كونوا أمة واحدة، فالعبقري عبد العزيز أسس الوحدة النموذج لجزيرة العرب، قتل الخصام وقاتل الوصام.. إن الضيم لأي شعب يلد العبقرية، وقد ولدت جزيرة العرب العبقري عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود.

اليوم الوطني

ويسرني أن أكتب عن اليوم الوطني لأن المصادفة هي باعثة المسرة..
فهذا العدد يحمل اسم الشهر الحرام «شهر المحرم» كما أنه، أعني العدد..
قد واكب زمان صدوره.. زمان اتخذته المملكة العربية السعودية يوماً
وطنياً.. فلئن كتبت الصحف المقالات بأسلوب الجريدة فإنه ينبغي للمجلة
أن تكتب بأسلوب التجريدة، أعني مواقف الحزم.. مواقف العودة بهذا
الوطن إلى شذرات تتضح منه مآثره وتأثره وتأثيره.. فاليوم الوطني لا يعني
الذكرى لحاضره بل ينبغي أن تحتفل الذكرى بالتذكير لما له.. وبما ليس هو
عليه، وإنما على الذين هم «بنوه» وهم «بأنوه» فإذا هم وقد أخذوا كل
شيء منه، يأخذون بعقوقهم وفرقتهم ما يفخرون به، فإذا هو يسخر بكل
من جدف عليه من هؤلاء الآخذين فعطاؤه غير محدود وجحودهم ما زال
هو المحدود.

١ - بهذا البيت الحرام، في مكة، بوادٍ غير ذي زرع، فإذا مكة لا
تقتصر على الوادي، ولا تنحصر بين الجبلين، وإنما يمتد اتساع مكة..
فأول الأمر في الجاهلية اتسعت مكة لمن حولها من العرب، سواء كانوا من
الأفئدة التي هوت إليها.. أو من الأفئدة التي توالدت فيها.. فكل الأودية
في جزيرة العرب وكل الواحات استجابت لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه

الصلاة والسلام فإذا كل واد وكل واحة تجني منهما مكة كل الثمرات. لهذا ما عرف التاريخ أن مكة ذاقت الجوع، أو إذا ما انتهى أهلها شيئاً إلا وهم واجدوه.

٢ - ومكة الحرم الآمن.. أنعم الله عليها بالحرمتين.. حرمة المكان «مكة»، وحرمة الزمان «الأشهر الحرم». فالعربي حولها يعيش الآمن فيها، لأنها «المكان» و«المكانة» والعربي مرة أخرى يعيش الآمن حولها في الأشهر الحرم.. حرم آمن، وسياج آمن، وإنسان آمن، في المكان، وفي بعض الزمان.. أي في الأشهر الحرم الأربعة.

٣ - وأنعم الله على مكة، وعلى من حولها، وعلى من أسلم وجهه لله، بهذا الإسلام نوراً سطع على جبل [حراء] وبرهانا أعلن فوق الجبل [الصفاء].. فالنبوة على حراء والرسالة على الصفاء.. والهجرة في حرز الجبل [ثاني اثنين إذ هما في الغار] فالجبل ثور.

٤ - ومضت أيام تخاذل بنوها بالفتن، واحترب بنوها في فتنة بعد فتنة، فإذا الآمن حولها لا يحترم حولها. فالأرض حولها في سنوات وسنوات شاعت فيها الفتن.. كأنما حرمة الحرم لم تكن فيهم.. إذ لم يكونوا إلا بها.. وحتى حرمة الزمان.. لم يعتنقوها وإنما تعاقدوا حولها فتانين ومحارين.

٥ - فإذا مكة اليوم حرماً وسياجاً لها يوم وطني، حين توحد سياجها وكل قبائلها وكل حواضرها تحت اسم «المملكة العربية السعودية».. فلقد انفرط الآمن وانتهكت الحرمات فإذا الله رب الكعبة الذي بحوله وبقوته قد منح عربياً في الذروة من عدنان من ربيعة الفرس، اسمه «عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود» جمع الشمل، فلا قطيعة، ولا إقطاع، ولا مقاطعات.

والسؤال.. هل بعد عماية التاريخ وغواية المتحاربين انتشر الأمن في مكة، بيت الأمن وفي كل الأرض حولها.. يحج الناس آمنين ويعيش الناس آمنين؟.. ولقد قتلها أكثر من مرة «إن لعبد العزيز بن عبد الرحمن، وآله من آل سعود، وأهله من كل الذين ناصروه، له في عنق المسلم والعربي دين سداذه أن يكونوا الشاكرين الحافظين للأمن.. ولنترك من تعنصر، ومن استكبر يعيش العقوق تقتله القطيعة.. فالحرب على الحرم لا تنحصر داخله، بل قد تكون أكثر جوراً في خارجه من الخارجين عليه»..

وهكذا فذكرى اليوم الوطني نصر على الذين كانوا أهل الهزيمة ولو تمتعوا بنصر أيام. فما هو من جانب الله إلا إمهال لهم.. يأخذهم بعدها أخذ عزيز مقتدر.. ويبقى البيت لأن له رباً يحميه.

التطبيب عند العرب

بلادنا العربية طبيعتها:

- تميزت بلادنا بطبيعة خاصة انعكست على مسيرتنا الحضارية.
- فاتصالاتنا بشعوب كثيرة كالفرس والكلدان والهنود واليونانيين نقلنا عنها وأفدنا منها وبالذات في ميدان الطب.
- طريقة الكهنة والعرافين والشعوذة.
- طريقة العلاج بالعقاقير.
- أشهر الأطباء:

- رجب بن تيم الرباب ويسمى ابن حزيم في المثل: «أطبُّ من ابن حزيم».

- لقمان بن عاد الملقب بالحكيم وكان يقيم في بلاد الشام، جاء ذكره في القرآن.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ..﴾ (لقمان: ١٢) .. (وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه ..).

وَحِكْمَ لقمان لها صلة قوية بالطب النفسي منها:

«لا تُغْلِقْ نَفْسَكَ بالهموم، ولا تشغل قلبك بالأحزان .. إياك والطمع

وارْضَ بالقضاء، واقنع بما قسم الله لك يصفُ عيشُك وتُسر نفسُك وتُستلذُّ حياتُك».

- راميان وكوسم طبيبان صيدليان وهما شقيقان توأمان عريان عاشا في سورية ٣٠٠ ق.م.

- زهير بن جناب بن هبل الحميري.

كان الممارس لمهنة الطب يسمونه العرّافة.

وكان عرب الجاهلية يطلقون على العراف «الطبيب».

من أشهرهم في كتب التاريخ:

- رباح بن عَجلة - عراف اليمامة.

- الأبلق الأسدي - عراف نجد.

وشاعر اليمامة يمدح عراف اليمامة بقوله:

فقلت لعراف اليمامة داوني فإنك إن دوايتني لطبيب

أما شاعر نجد فيقول:

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعرافِ نجد إن هما شفياني

وسائل العلاج المعروفة آنذاك:

- حرق العقرب ثم استعماله - المس بدل الحك.

- الغراب والجرح - الشبة السوداء

- الكي - عند ذات الرئة - الفتاق - اليرقان - عرق النسا - الحمى.

- الكبوس، التراب والاستشفاء براء الساعة، بيت العنكبوت، الجمرة

والجروح، الخميرة والحروق، اللبخة والتهاب اللوزات، الخاطر، الطحال.

تأثير الإسلام.. تحضير العرب..

- بعد ظهور الإسلام.. وصف كثير من المؤرخين الطب العربي بأنه الطب الإسلامي.

- عند دخول العرب بعض البلاد فاتحين استهوتهم العلوم التي وجدوها ولم يأخذهم الغرور - بل أقبلوا على العلم في كل مكان.. وحافظوا على دوره وكرموا أهله.. كما أقبلوا على المخطوطات يجمعونها من كل البلاد. وكانت ترجمة هذه المخطوطات هي المصدر الثاني لهم في تعلم الطب.

- برز من العرب أبو القاسم الزهراوي الذي ألف موسوعة طبية تضم ثلاثين مقالا وكان عنوانها «التصريف لمن عجز عن التأليف».

وعلي بن عباس المجوسي.

والحارث بن كلدة الثقفي من الطائف.

والنضر بن الحارث وهو ابن خالة النبي ﷺ.

وابن أبي رَمثة التميمي كان طبيباً على عهد رسول الله ﷺ.

والشمردل بن قباب الكعبي من نجران.

وضماد بن ثعلبة الأزدي.

والشفاء بنت عبد الله. ورفيدة الطيبة الجراحه.

وأم عطية الأنصارية.

وأم كعبية بنت سعد الأسلمي.

وابن نفيس. والأنطاكي - وأبو بكر الرازي.

ويؤكد الكثير من المؤرخين أن رسول الله ﷺ حث على حُب العلوم
ومنها الطب بقوله:

العلم علمان.. علم الأبدان وعلم الأديان. قدّم الرسول ﷺ علم الطب
على علم الدين ليشجع على الإقبال على دراسته.

والرسول الكريم رُوي عنه ما سُجل في كتاب سمي الطب النبوي،
فكان ﷺ يداوي نفسه ويأمر بذلك لمن أصابه مرض من أهله وصحابته.

مقارنة بين يعرب وعامر

وقبل أن أبدأ المقارنة، فإنني أمهد بما يلي: يخطئ بعض المتكلمين أو المثقفين حين يقولون: (رسالة آدم) كأنهم لم يعلموا أن آدم أبا البشر لم يكن رسولا وإنما كان نبياً.. أما أول الرسل فنوح عليه وعلى أبيه آدم السلام، ويعني ذلك أن أبناء آدم قبل نوح كانوا المكلفين باتباع الأب وراثته وتقليداً، فالنبوة لآدم امتياز وتكليف.. والنهي عن أكل الشجرة تكليف، والهبوط من الجنة تكليف.. وقتل قابيل لأخيه هابيل عصيان لطاعة التكليف.

فامتد بنو (آدم) إلى عصر (نوح) «عليهما السلام» ولم يبعث فيهم رسول فمنَّ الله على عبده (نوح) أن جعله أول الرسل، ليكون التكليف تبليغاً وأمرأً ونهياً لا تقليداً، فإذا قوم نوح لا يؤمنون. عاش فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، صابراً لعلَّهم يهتدون، ولما لم يؤمنوا دعا عليهم حين نفذ صبره فاستجاب له الله وأعلمه أن العذاب آتٍ، وأرشده أن يصنع سفينة النجاة، لأن قومه الكافرين سيهلكون بالطوفان، فتفجرت ينابيع الأرض، وهطل الماء من السماء، فنجى الله نوحاً والذين آمنوا معه، أولهم أبناءه الثلاثة: (سام، ويافث، وحام)، وهلك ابنه الرابع لأنه عمل غير صالح، غره الكفر بالعصيان، فلم يعصمه جبل، فكان من الهالكين.

وأخشى ألا أكون على صواب فيما أعتقد إذا سرت مع القائلين بأن الطوفان هو التطور البيولوجي الثالث، تغيرت به بعض المعالم على الأرض، فأغرقت أرضون، وظهرت أرضون عليها بقية من الماء في البحيرات وكان جل الماء في المحيطات والبحار، كما قالوا:

إن الطوفان قد اقتصر على غرب الهملايا، حتى أغرق قارة الأطلنتيك وبقيت أوروبا تحت وطأة الجليد.

وما قالوا لنا عن قارتي أمريكا شيئاً، هل كانتا فلم تغرقا؟ أم أنهما ما كانتا إلا ماء، ثم برزتا على الأرض فيما بعد.

أما شرق الهملايا، فقد قالوا:

إن الصين وما إليها لم يشملها الطوفان، ويعني هذا أنهم وهم الجنس الأصفر ليسوا من ولد نوح، فلا هم ساميون، ولا هم حاميون، ولا هم يافيثيون، وإنما هم المغول من ولد آدم، فلم يلدهم نوح.

واستدلوا باختلاف السحنة واللون والشعر والعيون..

أستعرض هذا لأكتب عن التطور في الحضارة، فبعد الطوفان، تطورت الحضارة وما صنعها وما قام بها إلا أبناء سام بن نوح، فلا أبناء يافث صنعوا حضارة نداءً لأبناء سام، ولا أبناء حام كذلك، فسام أنجب أرفخشاد، وأرفخشاد أنجب الأخوين قحطان وشالخ، فإذا هما يفترقان على الأرض الوسط.. أما قحطان فقد أنجب يعرب، وكان الخصب الولود في جزيرة العرب واليمن، وهو من الجزيرة، كان الناشر لأبناء يعرب، والصانع للحضارة.

وأما عابر فقد عبر إلى النهرين، فإذا عابر ويعرب يصبحان الأبوين

لأبناء سام: يعرب جد العرب: عاربة بائدة، وعاربة قحطانية.

أما عابر فهو أبو الكلدان الذين هم الأنباط الذين هم أصحاب الرس.

من هنا نظرت إلى الحضارة فوجدت أن القحطانية بائدة وعاربة، عادية وشمودية، وفرعونية وكنعانية، وحميرية وفينيقية، وسبئية وكندية.. كل هؤلاء القحطانيين أقاموا الحضارة بناء على الأرض، لأن نظرتهم كانت إلى الأرض، ولا عجب فهم وثنيون مستأرضون، حيث عبدوا الحيوان: (الأسد، والهر، والبس، والعجل، والجعلان).

وقد خالف من القحطانيين الفراعين، فجمعوا بين عبادتهم الموروثة عن القحطانيين وبين عبادة الكلدان التي هي عبادة الكواكب، وذلك لأن حضارتهم ثقافية، فعبدوا الحيوان وعبدوا الكواكب.

أما الكلدان فحضارتهم كانت نظرتهم إلى السماء، تعلقوا بالفلك، حتى ما بنوه كان لرصد الفلك، وهم الصابئة، فعبدوا الكواكب.

هذا الفرق توسعت به حضارة سام من البناية على الأرض، ومن العلم بالفلك، ولعل الإغريق أخذوا من الكلدان النظرة إلى السماء، فكل إله توثنوا به كان منسوباً إلى السماء.

هذا رأي لا أزعم أنه كله صواب، بل يسرني أن يكون فيه الخطأ لأثير من هم أعلم مني بالتصويب والتخطئة ليكون البحث مصدراً لتحرير حضارة الساميين، من أن تكون مقتبسة من غيرهم، بينما لم يكن غيرهم بعد الطوفان إلا هم.

وأكاد أزعم أن الإغريق اقتبسوا، ولكن عبقريتهم طورت ما اقتبسوه من حضارة الساميين وكأنهم صانعوها أولاً.

ولعلّ سائلاً يسأل.. كيف زعمت من قبل أن اليهود وهم من الكلدان
لا حضارة لهم؟

والجواب هو أن الحضارة إنسان وزمان ومكان، واليهود بنو إسرائيل
انفراديون. جمعتهم العصابة والعصبية حين كانوا بدواً ولم يجمعهم مكان
ولا امتد لهم في مكان واحد زمان.

ولعلّ معترضاً يسأل عن حضارة العرب الآن، فأقول له:

إنها لم تُعدّ في ثبت الحضارة لقرب الزمان وقلته، فهي مدنية فائقة
ستصبح بعد أجيال الحضارة الآرية اليافيثية، ولا تزال مدينة لحضارة
الساميين والإغريق، والأكثر لحضارة الإسلام والعرب.

لقد اقتبسوا اسم الشمس (Sun) من السنة النور، كما اقتبسوا اسم
النجم (Star) من تسمية الساميين، فالكلدان يسمون الزهرة رمز الجمال،
والحب عشتار، كما سماها الكنعانيون والفينيقيون (عشتروت)، والفراعين
(هاتور) والعدنانيون تفحصوا فسموها (الزهرة) من الازدهار.

ويقول أستاذنا «معروف الدواليبي» إن (فينوس) وهو اسم الزهرة رمز
الجمال مأخوذ عن العرب. فرمز الجمال عند العرب (البنث) أي البنت يوم
لم تكن التاء، ففي نظري أن (فينوس) هي البنت، والسين علامة التنوين في
اليونانية، والدليل أن (البنث) وهي رمز الجمال.

سمي بها القصر الكبير المنحوت في الجبال في حجر ثمود (مدائن
صالح) سموه قصر (البنث) التي هي رمز الجمال.

إنها مكة حرم آمن

وحاول الطغاة المخدوعون بما عقدوا، أو الكافرون بما اعتقدوا، أن ينالوا من المسجد الحرام من مكة من بكة من الكعبة، فحجزهم الله عنها، بعضهم لم يصل إليها وبعضهم وصل حتى المغمس.. حتى وادي محسر، أي داخل حدود المسجد الحرام، ذلكم أبرهة.. حبشي جاء من اليمن يقود جيشاً جراراً.. بل قاده حقد فوار، فإذا النار تآكل قلبه، يشد قوته ليهدم الكعبة، ليكون له بيت هناك في مركز ملكه.. لم يعرف الطريق، فإذا خوَّان من العرب هو (أبو رغال) يصبح الدليل له، يسلك بالفييل وأصحابه الطريق، أكلته الخيانة فأكلت تقديسه للبيت فتأكلت عروبتة، ماتت نخوته، ليشبع بقيمة وُعد بها، ولعلّه - في نفس أبرهة - سيكون طعاماً للسيف إذا ما انتصر صاحب الفييل، ولم يعلم صاحب الفييل عن الطير الأبابيل، عن الحجارة من سجيل تهلكه هو وكل جيشه.. إلا (حمامة) أم سيد العبيد بلال، أبقاها الله لتلد، هذه العود من الأبنوس.. هذا الأسود.. هذا السؤدد - أسود لونه وأبيض قلبه فإذا نور الإيمان في بلال يجعله أفضل من كثير ومن أكثر الذين أسلموا بعده ويأبى الفييل - هو من ذلك الشيء الذي يسبح بحمد الله لأن الفييل يعرف الله أكثر من الكافرين الطغاة - أن يتجه إلى حيث يريد أبرهة، فعصاه ليتجه حيث أراد الله وإن لم يتحرك، ويقولها عبد المطلب بن هاشم جد محمد عليه الصلاة والسلام «أنا رب إبلي أما البيت

فله رب يحميه» فحمى الله بيته، ولكن أين العرب؟ لماذا لم يحترموا أبرهة، وكلهم يحترم البيت؟ تلك قدرة الله.. إرادته.. أراد سبحانه أن يكون هو الذي يحمي بيته.

ولنسأل عن التوقيت، الآن محمداً ولد هذا العام؟ ليكون الطير الأبايل إرهاباً تعظم به مكانة البيت فلا يضام، وليجد رسول الله قريشاً آمنة تسميه الصادق الأمين حتى إذا أرسل أسلم الصادقون وبقي المشركون على شركهم.

العرب ما تخاذلوا ولا خذلوا، وإنما الله ثبّطهم ليكون النصر من عنده، وليكون هذا النصر آية للذين يؤمنون بالله.

.. وجاء من رجم الكعبة بالمنجنيق، حماه إسلامه وأمره إلى الله، وتولّى خالد بن عبد الله القسري عاملاً لبني أمية أميراً على مكة، فما استحي من إسلامه، بني لأمه وفي بيته كنيسة لأنها كانت نصرانية.. هجر قول رسول الله ﷺ «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب» «لا يجتمع في هذه الجزيرة دينان».

وجاء القرامطة، قرمطي كبير وقرامطة صغار، فخذلوا، ألدوا فأذاقهم الله العذاب، فالظلم بهذا البيت أو في هذا البيت إلحاد يذوق صاحبه العذاب، والأمثلة كثيرة، وما يوم حليلة بسر.

واليوم، حاول العبث الشعوبيون من الفرس، لا يعلنون الشعوبية، وإنما يتسترون وراء الإسلام، الإسلام يمنع العبث في الحرم يمنع إراقة دم المؤمن، فكيف تطعن سكين مسلمة قلب حاج مسلم، إنها أبرهة جديدة أو قرمطية مستجدة، ولكنه الله يحمي بيته.. أنعم على خادم الحرمين الملك فهد أن يتصدى لهذا العبث، ما تعدى وما تحدى ولكنه تصدى.

الحرم أمن، وأتحدى من يقول إنه بعد اغتيال عثمان بن عفان ذي النورين رضي الله عنه، عمّ الأمن جزيرة العرب.. حجازاً ونجداً وأعالي السراة وكل التهائم لم يقع أمن إلا حين جمع الله هذا الكيان الكبير المملكة العربية السعودية، فالمسلمون وأكثر العرب كانوا مع الملك فهد حين انتصب للعبث وحين قطع العلاقات، قلتها.. عروبتني فرحت وإسلامي حزن، ولكن الإثم على باعث الحزن، الإسلام لا يرضى أن يفترق مسلم عن مسلم، قال ﷺ في حجة الوداع «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض».

وَاشْمَخَرْتُ الْيَمَامَةَ . .

واشمخرت اليمامة، وحجرها الرياض، قبلياً في الجاهلية وإسلامياً في صدر الإسلام، فمنها وممن هم حولها من كل قبائل نجد، كانوا صخار الإسلام، والحفوة التي شقيت بها جزيرة العرب، لم تنل من اليمامة إلاّ حماستها لأن تعود إلى ارتفاعها المسلم وشموخها العربي بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ولسيوف الأئمة من آل سعود.

والحق يحاربه الباطل، فإذا عبد العزيز بن عبد الرحمن يعود إلى اليمامة بالسيف، فإذا هي تعود مشمخرة بالقصيدة وبالوحدة وبالأمن وبنشر العلم.

وأبت اليمامة إلاّ أن تشمخر تؤسس فيها - كما الجامعات - مكتبة باسم عبد العزيز يؤسسها ابنه ولي العهد عبد الله، جمعت التراث لتصون الميراث حتى إن الكتاب (الإكليل) لمجغرف جزيرة العرب الهمداني، قد ضاع تناهفته الأيدي من مكتبة صنعاء بيت الهمداني، فإذا رجل يجمع الإكليل اسمه في أجزاء في أكثر من مكتبة، أخذه الجد، فإذا الاجتهاد يعطيه، ماذا يصنع به؟ قالت مكتبة الملك عبد العزيز هاته.. اشترته ستطبعه إن لم يكن الآن تحت الطبع.

لقد كنت أذم سارق الكتاب يوم تسلط السراق على مكتبة عارف

حكمت ومكتبة السلطان محمود والمكتبات الأخرى يسرقون الكتب، كنت أذمهم، لكني الآن أشكرهم، لقد باعوها إلى من صانها.. باعوها في أوروبا.. واشترتها المكتبات، فإذا كل هذه الكتب مصنونة في كل مكتبة أوروبية، لأنهم تعصبوا للكتاب من حيث هو كتاب، من حيث هو تراث إنساني، لئن خالف عقائدهم، فإنه يتآلف مع الفكر المثقف الذي تثقف أول الأمر بما وصل إليه عن طريق الأندلس.. عن طريق صقلية.. عن طريق القسطنطينية.. عن طريق بخارى.. عن طريق روما، أخذوا عن كتابنا القيم الحضارية، فهم لم يعرفوا أرسطو وأبقراط وأقليدس إلا عن فلاسفتنا.

لهذا، شكرت السارق وأثني على صائن الكتاب، ولو كان لي أن أقترح لطلبت من مؤسسة الملك عبد العزيز أن تنتدب المختار من رجالها يذهب إلى مكتبة الفاتيكان التي جمعت أكثر من خمسين ألف كتاب، حتى صحائف الجلد وعليها الآيات توجد في مكتبة الفاتيكان، لو طلب ذلك منها رسمياً لما رفض البابا هذا الطلب، لا نأخذ الكتاب وإنما نصوره، حتى يصبح الكتاب اثنين في روما وفي حجر الإمامة.

لقد اشمخرت الإمامة بهذه المؤسسة أعني المكتبة، كما اشمخرت بالجامعات، وكل ذلك كما الدولة كلها.. كما الكيان الكبير كله هو مؤسسة الملك عبد العزيز، ولا أنسى الدارة فهي من الرديف وكل الرديف أصبح ريف ثقافة يذوق ثمارها الذين يتثقفون.

وما نسيت أن أكتب عن المؤسسة في المغرب، التي خصص لها هذا العدد من المجلة، فالعدد هذا هو الذي كتب عنها ويكفيني ذلك، كل ما فعلته هو أنني استجبت أو أنني رأيت أن تصدر الدارة هذا العدد الخاص، وليس بكثير على ابن عبد العزيز الأمير عبد الله ولي العهد، أن تأخذه

الوراثة للعقيدة والوفاء للصدّاقة أن يبذل ما بذل في سبيل تنظيم العلاقة الثقافية بينما هم أهل ثقافة واحدة، ثقافة اللغة الشاعرة.. لا.. ثقافة القرآن، فقد حفظه المغاربة وفسروه، وكان حبهم لنا نحن المشاركة حبا لا يعلى عليه.

فأول من صدّق شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من أهل الأنصار ما كان إلّا وهو السلطان سليمان، ولقد تعلمت هذه من الزعيم المغربي الشيخ علّال الفاسي في محاضرة ألّفاها في بستان الزاهر كعضو في رابطة العالم الإسلامي، ولا أدري هل أجدها عند الدارة أو في أي مكتبة أو حتى في الرابطة، فقد لعبت بعض الأيدي ببعض المحاضرات.

فعلاقة المملكة حرماً وسياجاً وصحراء وبيت الشعر وبيت المدر والرجال، علاقتهم وثيقة بالمغرب العربي كله لأنهم كما ذكرت من قبل أهل الثبات والإثبات يحبون هذه الأرض وإنسانها، فليس هم «غلاظ الأكباد» بل هم رفاق القلوب، وراثة الحميرية اليمنية وأخلاق الإسلام، فلئن شِعَ نوره في الحرم وسياجه، فقد انتشرت أنواره من المغرب كله بالفاّتحين الذين كانوا من هنا حتى تكوّنوا هناك سواء كانوا الفاتحين الأول أو كانوا بني هلال وبني سليم.. الفاتحون نشروا الإيمان وموجة نجد ومن لفّ لفّه فيها من القبائل، هم الذين عربّوا، قالها عبد الحميد بن باديس، يوم عابوا بني هلال بأنهم خرجوا، فقال يرحمه الله - وهو بربري صنهاجي، لكنه شبع من القرآن - قال: لئن قيل إنهم عربوا، فلنقل إنهم عربوا.

ولست بهذا أتزيد أو أتسيد، وإنما أستجدي القارئ أن يعرف نفسه.. أن يعرف ما هم العرب، ليعرف من هم العرب.. ولا أريد أن أزيد.

مواقف لعبد الملك بن مروان

وكاتب التاريخ ينبغي له أن تتجاوز عواطفه مع عقله لئلا تزحف به العاطفة إلى هضم التاريخ أو ينحرف به العقل إلى قتل العاطفة. فبعض ما نقرأ من استقراء التاريخ نجد عقلا لا يتعاطف أو عاطفة لا تخضع لعقل، فهذا عبد الملك بن مروان ثاني الملوك في الإسلام كما هو وصف المنصور أبي جعفر له، فالمنصور يرى أن الملوك ثلاثة: معاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان، وهو.

ولم ينحرف المنصور وهو لم يكن لمعاوية، ولم يكن لعبد الملك. ذلك عمل عقله أو تعامل عاطفته لنفسه، غير أنه تناسى الملك الرابع الذي هو أعني المنصور لقبه بصقر قريش. عبد الرحمن الداخل.

سقت هذه المقدمة لأن عبد الملك بن مروان له ثلاثة مواقف تدل على حصافته ليس منها أنه لم يتأخر عن انتشار الفتح العظيم وإنما هي موقفه مع الحجاج من أجل أنس بن مالك رضي الله عن أنس.

وموقفه مع عبد الرحمن بن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه من أجل الحجاج، وموقفه من أجل صديقه الإمام عامر بن شراحيل الشعبي، فالحجاج وفي الكوفة صب الإهانة على سيده رغم أنه لم يكن هو الملك ألا وهو سيدي خويدم رسول الله ﷺ أنس بن مالك، فسمع عبد

الملك وغضب، وردع الحجاج ردعاً سجل في التاريخ.

فبعد الملك وإن أصبح الملك فما زال فيه الحنين إلى المسجد وأهل المسجد، فالتطبع لا يقتل الطبع، وإن أخذ منه.

وكان الحجاج أول الأمر أو بعد قتله وصلبه لابن الزبير وعدم احترامه لأسماء ذات النطاقين أبقاه عبد الملك أميرا على الحجاز، وإذا الحجاج وهو يكتب التقارير لعبد الملك يثني على واحد من أعيان مكة بل من أعيان قريش اسمه عبد الرحمن بن طلحة، عجب عبد الملك من موقف ابن طلحة كيف أطاع بل كيف استطاع ألا يكون على رأس فتنة، فأرسل إلى الحجاج يقول له: تعال ومعك ابن طلحة، ووصل إلى دمشق، وجلس عند عبد الملك، فإذا هو يصرف الحجاج عن المجلس لثلا يكون إلا وهو مع ابن طلحة وحدهما.

وأخذ عبد الملك يخبر عبد الرحمن بن طلحة عن ثناء الحجاج عليه، وصدافته له، فإذا ابن طلحة يقول له: كاف هذا موقفني لثلا أنال، لأنني لا أريد أن أنال شيئا ولكني أقول لك إن الحجاج صعب على أهل مكة أن يحكمها، صعب على الحجاز أن يكون الحجاج أميره، سمع عبد الملك وأطرق يعجب بل ويستحسن، وأخذ ينادي الحجاج يقول له: لقد صدق حسن ظنك في ابن طلحة، ها هو يستقل عليك حكم الحجاز، ويريد مني أن أوليك ثغورا هي في حاجة إليك، لقد وليتك حكم العراق.

كان ابن طلحة أخذته خشية أن يثير الحجاج عليه، ولكن حصافة عبد الملك سمع بها النصيحة، وما خرب العلاقة بين الاثنين، إنها ثقته في ابن عمه، أو ليس عبد الملك كان قومياً.

أما موقفه مع صاحبه يوم كان عبد الملك حمامة المسجد، فقد أرسل

قيصر الروم يطلب من عبد الملك أن يبعث إليه رجلاً يثق به ليعرف عنه الكثير مما يريد عن الإسلام والعرب وملك الشام، فبعث عبد الملك صديقه الشعبي ذلك الرجل الذي هداه عقله ألا يخوض فتنة، واجتمع عامر بن شراحيل الشعبي مع القيصر، تحدث إليه، أعجب القيصر بما سمع وأعطى الشعبي خطاباً مختوماً إلى عبد الملك، وقرأ عبد الملك الخطاب أمام الشعبي، إذا فيه كلمة من القيصر: (عجبت لأمة فيها مثل هذا الرجل كيف تركوه، وبائعوك أنت ملكاً عليه). وقرأ عبد الملك الكلمة على الشعبي فأخذت الشعبي بعض المخافة أن يبطش به عبد الملك فإذا ابن مروان عبد الملك يقول للشعبي: لقد حسدني عليك، فأغراني أن أنتقم منك، ولست ذلك الغر، فأنت عندي في مكانك الرفيع.

أكتب هذا ولست الكاتب عن نفسي، ولا عن تنفسي وإنما عن نفاسة تاريخ الرجال يوم كان هناك رجال.

اللغة إعراب . . والأرض تعريب

واللغة ألفاظ نعرب بها عما نريد، أو هي عطاء المعرفة، نقرأها نمثلها إذا ما هضمناها، ثم نعرب عنها، في حديث نرسله أو نكتبها على قرطاس، غير أن هذه اللغة الشاعرة والتي هي عنوان العروبة قد لا تحفظ نفسها إذا غابت عن أرضها إن شرّبت أو غربت، ولكن الأرض العربية هي التي تحفظ العروبة لغةً وسماتٍ واتجاهاً، كأنما الأرض العربية لها حدٌ معروف، فهي التي تصنع التعريب لإنسانها، والتي هي الصوانة لعروبة إنسانها من عمق عروبتها.

ولقد قلت من قبل لقد شرّق الفتح فلم يعرّبه وإن اهتدى إنسان الأرض لدين الإسلام، وغرب الفتح فعربّ، فإذا غرب السويس هو العربي تفصحت العروبة اللغة بجندي الفتح وتأصلت فصاحة اللغة بموجة بني هلال وسليم، فالذين عابوا بني هلال فقالوا إنهم خرّبوا، رد عليهم بن باديس العربي عروبة حمير يقول: (لأن قيل إنهم خرّبوا، فلنقل إنهم عربوا) فالفتاح الأول والهاللي بعد، عربوا اللسان وإنما الأعراق فلم تكن إلا العربي من عروبة الأرض.

فالأرض شرّقها من شرق الفرات والخليج الأزرق وغربها على الشمال الأفريقي على المحيط الأطلسي حول الوطأة الأخيرة لذي القرنين المصعب

الحارس اليمني القحطاني بل الحميري، ومن حول وطأة عقبة ابن نافع الفهري ويعني القرشي.

ويحتاج الأمر إلى تفصيل نؤكد به التأصيل، فالرومان لم يستطيعوا وقد بسطوا سلطانهم في شمال الجزيرة العربية يعني الشام كلها، كما بسطوا هذا السلطان على جنوب البحر الأبيض من غرب السويس إلى ساحل المحيط، بسطوا هذا السلطان استعماراً واستغلالاً كإمبراطورية عظمى في ذلك الوقت، ندا لإمبراطورية عظمى كذلك ألا وهي إمبراطورية الفرس، غير أن هذا السلطان لم يفرض سلطان الأعجمية على الأرض العربي شامها ومصرها، وكل مغربها، ولم يكن الصوان للعروبة على أرضه هو الإنسان العربي وحده، وإنما هي الأرض العربية لا تقبل إلا عروبتها.

والعراق استغول عليه سلطان الفرس ولكنه بقي عربياً لأن الأرض صوانة لعروبتها، حتى إن العراق الذي كان كلدانياً بابليةً أبت أرضه إلا أن تستحوذ على العابرين هؤلاء من ولد عابر بن شالخ بن أرخشيد بن سام إلا أن تأخذه أخذاً لتجعل من وراثته للسامية تسير به إلى العروبة، فإذا هم الأنباط أصحاب الرس، وإذا هم يرحلون من عراقهم عبر الصحراء فأنجدوا ليكونوا عرباً بعد حين وصلوا إلى وادي القُرى.. يرثون ثمود.. يكملون حضارة ثمود، فإذا هم في اللقاء ينحتون الجبل، فإذا هم في سلع البتراء كأنما حضارتهم في البتراء صورة طبق الأصل من حضارة ثمود (الذين جابوا الصخر بالوَاد).

ولقد أذابت الأرض العربية لهجتههم الكلدانية إن بقيت منها ألفاظ: (كأنطى بمعنى أعطى، أو ناطرك بمعنى أنتظرك أو هي الناطور بمعنى الحارس).

ونأتى إلى المغرب أعني غرب السويس فإذا الأرض صانت عروبتها، وما كان الإنسان هو المُعَرَّب وإنما هي الأرض، والبرهان على ذلك أن موريتانيا وكل المغرب بقي عريباً أما مالي والسنغال (سنهاجة) وبقيت من أرض أفريقيا انتشر فيه الإنسان العربي ولكنه لم يعرب ناسه، مثل آخر لو أن سيبويه وابن المقفع ومن إليهم لو تعلموا اللغة في فارس أيصبحون أئمة وأحدهم إمام اللغة العربية سيبويه، والآخر إمام العربية ابن المقفع، وقل ذلك على ابن نواس، فالبصرة والكوفة وما إليهما كأرض تأصل بهم اللسان العربي، فليس هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي وإن علم سيبويه بالذي أعطى سيبويه إمامة اللغة.

قد ينطلق لسانه بالتعليم ولكن موهبة التدقيق لقانون اللغة واحتراف التدقيق لمفردات اللغة لا أنكر أن التعليم له أثر، ولكن الأرض هي المؤثر الأول..

وهكذا فأرضنا العربية إن توحدت جغرافياً فإنها تبكي الآن حينما تفرقت إقليمياً، ولكن عروبة الأرض ما زالت إمبراطورية، وعروبة اللسان ما زال إمبراطورياً، وأرجو ألا أعود إلى هذه الكلمة مرة أخرى ألا وهي: «القومية شعوبية العرب، والشعوبية قومية الفرس».